الدكتور عبد العظيم المطعنى

التبشير العالمى ضد الإسلام

أهدافه . وسائله . طرق مواجهته



الطبعة الأولى
١٤١٣هـ = ١٩٩٢م

رقم الإيداع ١٩٩٢/٩٥٩٠ م
I.S.B.N : 977 – 5076 – 13 – 7



٨ شارع الاهرام روكسي - مصر الجديدة
٢٥٨٤٥٦٣

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من المخاطر المحدقة بالإسلام والمسلمين — الآن — التبشير ضد الإسلام لحساب النصرانية . والتسمية نفسها « التبشير » تحتوى على قدر كبير من الخداع . فمادة بشر فى اللغة وفى الشرع لا تستعمل إلا فى الخير . ولا خير فى سلخ المسلم عن عقيدته وارتمائه — لا سمح اللّه — فى براثن عقيدة لم يقم دليل واحد على صحة شئ منها . بل قامت مئات الأدلة من النقل ، ومن العقل ، ومن الواقع على بطلانها وزيفها . وهذا مما أجمع عليه أحرار الفكر من مفكرى النصارى أنفسهم . إذن فحق هذه الظاهرة « التبشير » أن تسمى « التضليل » ليكون الاسم مطابقاً للمسمى . ولهذا نقول — ونحن فى بداية الطريق — إن تسمية فتنة المسلم عن دينه وتزيين أية عقيدة أخرى مخالفة لعقيدته — تبشيراً — إنما هى خداع وتلبيس . خداع وتلبيس فى التسمية من حيث هى تسمية ، وخداع وتلبيس فى المسمى من حيث هو مسمى . ولهذه الظاهرة أهداف تسعى إليها ، ووسائل تعتمد عليها . وعملاء قد أفلح المبشرون (المضللون) فى تجنيدهم لخدمة أغراضهم . ويجب علينا — نحن المسلمين — أن نضع خطة لمواجهة هذا الخطر وهذا ما نحاول إيجاز الحديث عنه فى هذه الصفحات ، راجين التوفيق والسداد ممن بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شيء قدير .

* * *

أهداف التبشير (التضليل)

يمكن تصوير أهداف التبشير فى مطلبين كبيرين تندرج تحت كل منهما جزئيات عديدة . والمطلبان هما :

المطلب الأول : تشكيك المسلمين فى عقيدتهم ودينهم ، وتنفير غير المسلمين من الإسلام .

المطلب الثانى : الدفاع اللاهث الأنفاس عن « النصرانية » وتكثيف الحجب حولها حتى لا تتكشف « عوراتها » أمام الأنظار فيزهد فيها من آمن بها ويزول آخر رمق تتمسك به الكنيسة ، بعد الضربات القاضية التى منيت بها أبان حركة ، الإصلاح الدينى فى أوروبا (من بداية القرن الخامس عشر الميلادى) على يد مارتن لوثر ورفاقه . ثم ما منيت به فى عصر التنوير (النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى) وكانت نهاية البداية لنهاية أخرى على أيدى الثوار الفرنسيين الذين كان شعارهم « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

وبناء على هذا فإن التبشير يعمل من خلال محورين لا ثالث لهما : محور هجومى قوامه الطعن فى الإسلام : كتاباً ورسولاً وتاريخاً وسيرة ، وقيماً ومبادئ . ومحور دفاعى لحمته وسداه حيل بلهاء ، وألاعيب صبيانية يحاولون من خلالها أن يطلوا السواد بالبياض ، ويلبسوا الباطل ثوب الحق مهما كلفهم هذا من إهدار قيمة النقل والعقل وحقائق الواقع المؤيد بكل دليل له وزن وتقدير .

إن اللص الذى يقتحم أو يتسلل إلى بيت إذا فوجئ بأهل البيت قد تصدوا له وكاد يقع فى قبضتهم فإن حب الخلاص منهم يسيطر على كل ذرة من مشاعره ولو أتيحت له فرصة القضاء عليهم لما تردد لحظة واحدة ، إنه ينسى كل شئ ولا يفكر إلا فى النجاة ، وبأية وسيلة .

وهذا هو مسلك المبشرين – الآن – يتخفون بكل القيم لكى يحققوا لأنفسهم إقامة صرح شامخ على أساس من « هواء » فاسد .

* * *

الخوف من الإسلام

لم تظهر « ظاهرة التبشير » هذه إلا فى ظل الخوف من الإسلام فهو المنافس الوحيد الذى تخشاه الكنيسة والحكومات غير الإسلامية ، لإنه العقيدة الصحيحة ، التى إذا هيئ لها السبيل استطاعت أن تحل محل غيرها من العقائد الواهية ، وشريعة الإسلام – بعد عقيدته – هى البديل الوحيد الذى يمكن – إذا هيئت لها الظروف – أن تكتسح أمامها جميع النظم الوضعية التى تحكم قبضتها – الآن – على قطاعات هائلة من البَشر .

والخوف من الإسلام قد أفصح عنه كثير من قادة التبشير وغيرهم من المستشرقين فليس ما نقوله – هنا – دعوى عارية من الدليل . بل هو حقيقة لا تقبل نزاعاً من منصف .

ومن أقوالهم المفصحة عن هذه الحقيقة ما يأتى :

قال المستر أدوين بلس مؤلف كتاب (مشروع التبشير) : « إن الدين الإسلامى هو العقبة القائمة فى طريق تقدم التبشير بالنصرانية فى إفريقيا ؟

والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا ، لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ، ولا من وثنيتهم ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية وليس خصمنا هو العربى الذى يرتاد البلاد للاتجار فى الرقيق .... بل أن هذا الخصم والمعارض هو الشيخ والدرويش صاحب النفوذ فى إفريقيا ... فالشيخ والدرويش يجوبان شواطئ البحر الأحمر والنيجر والمغرب ووادای ويبثان فى الأهالى أن المهدى ينتظر ظهوره لينشر الإسلام فى كل الأقطار « الغارة على العالَم الإسلامى » (١٥) .

ويقول لورانس براون مؤلف كتاب (الإسلام والإرساليات) : « إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالَم وخطراً ؟ وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً — أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير » .

يريد لورانس من اللعنة — حسب معتقده — قضاء الإسلام على النظم الغاشمة والعقائد المنحولة ، أو إزالة سلطان أوروبا المادى . وهذا فى نظره خسارة تمنى بها دول الغرب . ثم ما لبث أن أقر بالحق — رضى أم كره — أن سيادة الإسلام للعالَم قد تكون نعمة للعالم (اللّٰه أكبر) ، وقد صدق لورانس حين قال أن المسلمين إذا ظلوا متفرقين فلن تكون لهم قوة ولا تأثير . ولذلك تضافرت جهود المبشرين ورفقائهم المستشرقين وقوى الاستعمار على

تفتيت المسلمين وتقسيمهم إلى دويلات متناحرة ليسهل على الغرب السيطرة عليهم .

ويرى كالهون سيمون ما يراه لورانس فيقول :

« إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً فى كسر شوكة هذه الحركات ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين فى ثوب جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها « التبشير والاستعمار » (٣٢) .

وهذا القول يظهر فى وضوح أن هداف التبشير لم يكن دينياً فحسب بل هو دينى سياسى ، وكفى بذلك شاهداً على صلة الاستعمار المعاصر بحركات التبشير وتمويلها والتستر وراءها .

وفى هذا المعنى يقول لورانس براون مرة أخرى :

« الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام . وفى قدرته على التوسع والاخضاع ، وفى حيويته أنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى » (المصدر السابق ١٨٧) .

ويصرح بهذا – فى إيجاز شديد – المسيو كاردنر فيقول :

« إن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيفنا » (نفس المصدر ٣١) .

وتنحو هـذا المنحى مجلة العـالَم الإسلامى الإنجليزيـة ، وهى مجلة تبشيرية صدر أول عدد منها فى فبراير عام ١٩١١ م تقول هذه المجلة :

« إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العـالَم الغربى ، ولهـذا الخوف أسباب منها :

إن الإسلام منذ أن ظهر فى مكة « المكرمة » لم يضعف عددياً بل هو دائماً فى ازدياد واتساع . ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب . بل أن من أركانه الجهاد . ولم يتفق قط أن شعباً دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانياً » .مجلة العـالَم الإسلامى الإنجليزية عدد يونيه ١٩٣٠ م تحت عنوان « الجغرافيا السياسية للعالَم الإسلامى » .

* * *

تفصيل بعد إجمال

مما تقدم من حديث لقادة المبشرين عن قوة الإسلام والخوف منها كان أقرب إلى الإجمال منه إلى التفصيل . وقد أسهم معهم آخرون فى الحديث عن قوة الإسلام ، ولكن فى أسلوب أقرب إلى التفصيل منه إلى الإجمال .

ومن هؤلاء اللورد كروزون إذ يقول :

« إن أمواج التبشير تضرب عبثاً على حائط الإسلام الصخرى الذى لا يهدم ، حيث أنه نظام شامل لكل ناحية ، وموافق لطقس وعادات وأعمال تلك البلاد التى وضع يده الحديدية عليها وأتباعه يخضعون لنظامه

مأسورين من المهد إلى اللحد فهو ليس ديناً فحسب . بل هو حكومة وفلسفة ودين أيضاً . والفكرة الإسلامية ترمى إلى حكومة دينية وليس إلى دين حكومى ، والروابط التى ينهض بها المجتمع الإسلامى ليست مدنية بل هى دينية ، وقد يكتفى بهذا الدين السامى المسلم الذى يعيش قانعاً متنازلاً عن كل إرادة معتقداً فى القدر ، ومعتبراً أعظم شئ فى الحياة هو عبادة اللّه، ويجبر غيره عليها (؟!) وإذا لم يمكنه ذلك يحتقر كل من لا يعبده بقلبه. ثم يموت وهو مؤمل دخول الجنة . وما دام هذا القانون الشامل المنتظم لجميع نواحى الحياة مستولياً على الشرقيين الذين يعتنقونه ، ومفصلاً لأحكام كل شئ متعلق بهذه الحياة ومؤملاً فى حياة ونجاة وسعادة بعد الموت ، فإن أعمال المبشرين ، وصرفهم الأموال الطائلة ، ونكران ذواتهم يصبح عديم الفائدة ، بل هو من العبث بمكان ، وكل محاولة لعمل بروبا جندا (غسيل مخ) هو فى نظرى أسوأ أعمال السياسات التى يمكن للمبشرين أن يمارسوها فى مملكة متعصبة » (حقيقة البهائية ١٩) .

نقلنا هذا الكلام – بطوله – مع ما لنا عليه من تحفظات لأن صاحبه قد اشتط فيه فى بعض المواضع . نقلناه لنؤكد أن الباعث على حملات التبشير هو الخوف من الإسلام ، وأن المبشرين قد وقفوا على مقومات قوة الإسلام ، وقدرته – إذا توافرت الأسباب – على ريادة العالَم بكفاءة لا مثيل لها فى أى نظام آخر مهما كان مصدره .

القرآن ومكة

ويضع وليم جيفور بالكراف يده على مصادر القوة فى الإسلام حين يقول :

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يندرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد ﷺ وكتابه »؟! (الغارة على العالَم الإسلامى ٤٤) .

* * *

نفثات محمومة يصدرها حقد أسود

وضع المبشورن كتاباً أطلقوا عليه « البحث عن الدين الحقيقى » ظل هذا الكتاب يدرس فى مدارس الارساليات التبشيرية الأجنبية فى لبنان إلى اليوم كان الهدف منه تشويه حقائق الإسلام ، ووراء كل كلمة ، فيه حقد أسود قد سيطر على مشاعر مؤلفيه . والفقرة الآتية أصدق دليل على ما نقول . قال المونيسيور كولى :

« فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد ، ذاك هو الإسلام الذى أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب ؟! لقد وضع محمد ﷺ السيف فى يد اتباعه ، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق ؟!!! ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ؟!!!

ووعد الذين يهلكون (يستشهدون فى سبيل اللّه) فى القتال

بالاستمتاع الدائم بالملذات (يعنى الجنة) .

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وأسبانيا فريسة فى يده ، حتى إيطاليا هددها بالخطر وتناول الاجتياح نصف فرنسا .

لقد أصيبت المدنية ؟!!

ولكن هياج هؤلاء الأشياع (يعنى المسلمين الأوائل) تناول فى الأكثر كلاب النصارى ؟!

ولكن انظر : ها هى ذى النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً فى وجه مسيرة الإسلام المنتصر عند بوانية (٧٥٢ م) ثم تعمل الحروب الصليبية فى مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ – ١٢٥٤) فى سبيل الدين (يعنى النصرانية) وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن (؟!!!) وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة »؟!!! [١] .

إن هذا الكلام يدل على أمرين :

أولهما : إدراك أعداء الإسلام لعظمة الإسلام وقوته وارتعاد فرائضهم منه .

---

(١) ص ٢٢٠ طبعة ١٩٢٨ م ، ويقول الدكتور محمد البهى أن هذا الكتاب نال رضال البابا ليون الثالث عشر (١٨٨٧ م) وما يزال يدرس فى مدارس التبشير فى الشرق والغرب . انظر الفكر الإسلامى الحديث ... (٤٢٦) .

والآخر : حقدهم البالغ نحوه ، وافتراؤهم عليه . وإنهم لم يكونوا نزهاء ولا موضوعيين ولا شرفاء فى مواقفهم منه .

* * *

المسلمون فى نظر المبشرين

كان كل ما قدمناه من أقوال المبشرين منصباً على الإسلام نفسه مع أوصاف عارضة ، وصفوا بها الرسول ﷺ ، وأحياناً وصفوا المسلمين . ولهم – بعد ذلك – أقوال ليس من السهل استقصاؤها هنا ركزوا فيها على أوصاف المسلمين نكتفى منها بما يأتى :

يقول هنرى جيسب ، وهو مبشر أمريكى حقود :

« المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها ، إنهم لصوص وقتلة ، ومتأخرون .

وأن التبشير سيعمل على تمدينهم .. » (التبشير ٣٧) .

ويقول جيليمين فى كتابه (تاريخ فرنسا ص ٨٠ – ٨١) نقلاً عن كتاب الدكتور البهى (الفكر الإسلامى ٤٢٦) :

« إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالَم . وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين ؟!!!!) وبين النصارى ؟ إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ؟!

بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم » .

هذا ما يدعيه الحقود ويكفى فى دحض دعواه أنه نسى عيوب قومه وأغمض عينيه أمامها وراح يلصق أشنع الاتهامات بالإسلام والمسلمين .

ونسى أو أنساه حقده ضحايا محاكم التفتيش وإحراق المتمردين على الكنيسة وهم أحياء كما حدث لبرونو نصير كوبر نيق ضد معتقدات الكنيسة [1] ، وغيره ، وغيره .

وكم يا ترى بلغ عدد ضحايا الحربين العالميتين ؟ وهل حققت محاكم التفتيش أو الحربان العالميتان نفعاً للبَشرية ، كما حققت حروب المسلمين مع خصومهم ؟!

وهكذا يتضح لنا أن السبب وراء حملات التبشير المستعرة فى البلاد الإسلامية إنما هو الخوف من زيادة الإسلام للعالَم . ولذلك لا يكون التبشير مفصولاً عن أهداف الاستعمار ، فكل منهما – التبشير والاستعمار – يعاضد الآخر ويقويه وما دام الغرب يخشى من قوة الإسلام فلا بد أن يعمل على انحساره ، ووقف زحفه وتشويه حقائقه ، ثم دحره فى النهاية إن كان ذلك ممكناً . وهذا الهدف قد أفصحوا عنه مثلما أفصحوا عن تخوفهم منه . وهذا هو الدليل :



---

(١) فى إحصاء دقيق لمؤلف السيرة الشهير القاضى محمد سليمان المنصور أن قتلى حروب المسلمين منهم ومن خصومهم لم تتجاوز (١٠١٨) قتيلاً . فماذا تبلغ هذه النسبة من نسبة ضحايا محاكم التفتيش التى بلغ عدد ضحاياها ١٢٠٠٠٠٠٠ (إثنى عشر مليون نفس) وقتلى الحرب العالَمية الأولى بلغوا ٦٤٠٠٠٠٠ (ستة ملايين وأربعمائة ألف نفس) ، وقتلى الحرب العالَمية الثانية بلغوا ٦٠٠٠٠٠٠٠ (ستين مليون نفس) انظر السيرة النبوية ٣٢٦ للندوى .

العمل على وقف المد الإسلامى

أعداء الإسلام يعرفون جيداً صلاحية الإسلام لريادة العالَم ، فهذا واحد منهم – مونتجمرى وات – يقول محذراً بنى جلدته : « إذا وجد القائد المناسب الذى يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام ، فإن من الممكن لهذا الدين – الإسلام – أن يظهر كإحدى القوى السياسية ، العظمى فى العالَم مرة أخرى » (التايمز اللندنية مارس ١٩٦٨ م) .

ويقول سايلر عميد الدراسات التبشيرية فى الولايات المتحدة فى كتابه (المسلم يواجه المستقبل) ، وتحت عنوان : لماذا يجذب الإسلام الزنوج ؟ : « لقد كتبت الكثير عما يسمى بالجاذبية الطبيعية من قبل الإفريقيين نحو الإسلام ، وقد اعتبر البعض هذا مرغوباً وحتمياً ، لأن الإسلام يلائم الزنوج وهو يحسِّن من أوضاعهم ولا أمل للمسيحيين فى منافسة الإسلام . أما الآخرون فقد اعتبروا التحول إلى الإسلام مكسباً كبيراً للرجل الأسود لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية » .

ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود على نطاق كبير لوقف المد الإسلامى » (مجلة هذه سبيلى السعودية العدد الثانى ١٩٧٩ م ، ص ٢٨٦) .

* * *

المؤتمر الاستعمارى

وأبدى المؤتمر الاستعمارى الذى انعقد فى برلين عام ١٩١٠ م تخوفه من انتشار الإسلام ونمو قواه فاتخذ فى هذا الشأن قراراً وبعث به إلى مؤتمر أدنبرج التبشيرى للنظر فيه ووضعه موضع التنفيذ فى نفس العام ١٩١٠ م ، وهذا هو نص القرار :

« إن ارتقاء الإسلام يهدد مستعمراتنا بخطر عظيم لذلك فإن المؤتمر الاستعمارى ينصح الحكومة بزيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة ويشير المؤتمر الاستعمارى على من فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام ، وأن يزيلوا العراقيل عن طريق انتشار التبشير » (هذه سبيلى ٢٨٧ مرجع سبق ذكره) .

* * *

انفصال بيافرا

وفى السبعينيات من هذا القرن (العشرين) لما وجد المستعمرون أن المسلمين قد تصدروا مراكز القيادة فى نيچيريا فى عهد الزعيم النيچيرى أحمدو بيللو دبروا المؤامرات للإطاحة بوحدة نيچيريا وشجعوا زعيمهم الچنرال أوجوكو فقام بحركته الانفصالية فى إقليم بيافرا . وقد تعاون المستعمرون من رجال السياسة والمبشرون من رجال الدين ، فأخذت الأسلحة تتدفق بالمجان لقتل المسلمين من هولندا وفرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا وإسرائيل واشترك بابا روما والفاتيكان فى تهريب الأسلحة إلى بيافرا

على بواخر حكومية ونشط المبشرون فى التجسس لحساب أوجوكو وتحريش النصارى بالمسلمين وهم أبناء وطن واحد .

وصرح أحد المقربين من أوجوكو ، وهو اللواء أودا أميجو عن العوامل التى أسفرت عن الحركة الانفصالية فى بيافرا فقال :

« إن الخط السياسى لدولة بيافرا سيكون فى وضع حد للتوسع الإسلامى فى كل أرجاء إفريقيا » (هذه سبيلى ٢٩٠ مرجع سبق ذكره) .

مذبحة زنجبار

ولا يخفى عن الذاكرة تلك المذبحة الشنيعة التى تعاونت فيها الصهيونية والاستعمار مع المبشرين فى زنجبار عام ١٩٦٣ م ، وقد قتل فيها ثلاثة وعشرون ألف مسلم من ستة وعشرين ألفاً . وكان الهدف من هذه المذابح وقف المد الإسلامى المتزايد فى أرجاء البلاد .

هذا ، وكان الإمبراطور هيلاسلاسى الصليبى المتعصب الحقود قد صرح فى زيارة له لأمريكا أمام الكونجرس الأمريكى أنه قد وضع خطة محكمة ضد الإسلام فى بلاد الحبشة تستهدف تنصير المسلمين خلال اثنى عشر عاماً ، ليعيد المسلمين إلى دين أجدادهم (النصرانية) ؟!

فى كل مكان

وما حدث فى زنجبار ونيچيريا والحبشة حدث مثله فى الصومال وفى الفلبين وفى ألبانيا وفى بلغاريا وفى الهند وفى أندونيسيا وكثير من البلاد

الإسلامية والبلاد التى بها رعايا مسلمون فى كل مكان من العالَم .

إن كلا من المستعمرين والمبشرين حاولوا من قبل ، ويحاولون الآن تطويق الإسلام وخنق أنفاسه ، وتأليب القوى عليه عسكرياً وفكرياً ، ولكن النشاط الفكرى التبشيرى أوسع نطاقاً من الجانب العسكرى ، لإن الصدام المسلح له ضوابط قد يصعب إهدارها وحدود قد يصعب اختراقها.

أما التبشير فما أيسره وبخاصة بعد أن اصطنعت دول أوروبا علاقات ودية — ولو من جانب واحد — مع كثير من الدول الإسلامية .

* * *

ومسائل ممارسة التبشير

أعداء الإسلام يعملون بجد ونشاط ونظام من خلال خطط مدروسة جيداً مقنعة حيناً ، وسافرة حيناً آخر . وفى عصرنا هذا زادت رقعة الخطط والوسائل التى يباشر عملهم من خلالها . وغالباً ما يلبسون هذهالوسائل والخطط أثواباً ليست لها . فهى فى الظاهر عمل من أعمال الخير . أما فى الباطن فنار تسرى فى هشيم يابس ، وفيما يلى بيان لما نعرفه من وسائلهم فى مجال التبشير :

١ — التعليم : وهو أنجح وسيلة لديهم وله عدة مظاهر منها مدارس الإرساليات والجامعات ، مثل الجامعة الأمريكية فى القاهرة ونظيراتها فى لبنان ومدارس التعليم الأجنبى وما أكثرها .

٢ – المستشفيات والمستوصفات الصحية ، وبخاصة التى تعمل بها طبيبات وممرضات من الراهبات . وتركز هذه المؤسسات على التبشير لدى النساء والأطفال .

٣ – الملاجئ : وهى مؤسسات تتظاهر بعمل الخير ولكنها فى الواقع تباشر نشاطاً مدمراً من وراء ستار ، مثل الجامعات التبشيرية ومدارس الإرساليات .

٤ – وسائل الإعلام : مقروءة ومسموعة ، وقد دخلت أشرطة الڤيديو والكاسيت مجال العمل التبشيرى على نطاق واسع ويدير المبشرون مئات المحطات الإذاعية لبث الفكر التبشيرى . وهم يملكون – للأسف – محطات إذاعية فى بعض البلدان الإسلامية .

٥ – الندوات والمؤتمرات : وكانت المؤتمرات ذات خطر فى الماضى حينما كان الاستعمار يبسط نفوذه على البلاد العربية والإسلامية . ولكنها الآن تقلص ظلها بيد أنهم قد حولوا نشاطهم إلى الوسائل المستحدثة السريعة الانتشار السهلة الاستعمال فكانت لهم هذه عوضاً عن تلك .

٦ – الكتب والنشرات : وهذه الوسيلة تؤدى دوراً منهما الآن فى المجال التبشيرى وهم كثيراً ما يضعون عليها أسماء وهمية ، وأحياناً يصدرونها بدون ذكر مؤلف وقد يضعون على غلافها اسم مؤلف مسلم مبالغة فى التوهم والخديعة ، أما النشرات فتصدر عادة غير منسوبة إلى مؤلف ، وتحت يدنا نماذج من هذا النوع .

٧ – الرسائل : وتصدرها مراكز تبشيرية موزعة فى أنحاء العالَم وهى قاصرة على الشباب المسلم . ولدينا نماذج من رسائل أرسلت إلى شاب مسلم عنواناتها : « رسالة إليك » وهى غالباً ما تحتوى على رسالة خطية مموهة باسم مفرد « مروان » مثلاً تخاطب فيها الشاب بأسلوب رقيق جذاب ويعرض عليه خدماته من أى نوع كانت ثم كتيب صغير يناقش معه بعض مسائل العقيدة فى هدوء مترقياً من حالة إلى حالة ويسعدهم جداً أن تصلهم رسالة من الشاب المسلم رداً على رسالتهم ... وهكذا يتدرجون معه فى الحيل فإذا ما أطمأنوا إليه كشفوا عن أغراضهم وتلقفوه سريعاً ومن أنشط مراكز التنصير مركز الشبيبه وله عدة اصدارات معادية للإسلام لدينا بعض منها ولدينا – كذلك – رسائل شخصية بعثوا بها إلينا رداً على مقالات نشرت لنا فى الصحف المصرية التى توزع فى الخارج . وقد سلكوا فى ردودهم مسلكاً مثيراً للغاية .

٨ – المراكز الثقافية : وهى تؤدى دورها التبشيرى بصورة مقنعة بينما نشاطها الظاهر يقتصر على تعليم اللغات وغيرها من المعارف ويعمل بها أعضاء مدربون وعلى جانب من الذكاء أو الخبث .

٩ – التودد إلى الشباب المسلم : وعقد صداقات معه وعرض الخدمات عليه وبخاصة السفر للخارج ويقدمون له كل وسائل الراحة، وهناك فى الغربه يبدأ الدور المهم فى تنصيره وصده عن عقيدته .

١٠ – الفنون والآداب : ويسخر المبشرون الفنون والآداب المختلفة :

قصة ، مسرحية ، فيلم ، تمثيلية ، أغنية ، ويسخرون هذه الروافد لبث الفكر التبشيرى ولكن فى الجانب الهجومى (الطعن فى الإسلام) بالسخرية من بعض قيمه أو سلوكياته . أو تزيين الباطل والأمثلة ، على هذا النوع لا تقع تحت حصر .

١١ – الرمز والتصوير : ومن أحدث وسائلهم الرمز والتصوير وبخاصة رمز الصليب . فتراه يظهر فى سطح « ساعة » إذا وصلت إلى وضع معين إما شعاع الشمس أو أى شعاع آخر كما تجده مرسوماً بخفة بالغة على بعض الملبوسات والمفروشات ، وقد شاهدنا الكثير من هذه النماذج فى الأراضى الحجازية ، وكأن المبشرين يحققون بهذا الهوس نصراً لملتهم تقطع دونه الأعناق . وهذا يدل على مدى تعصبهم لما هم عليه .

* * *

الممارسات : نماذج وصور

الممارسات التى يزاولها المبشرون – الآن – ومن قبل تختلف باختلاف مطلبهم من التبشير . وسبق لنا القول أن لهم من التبشير مطلبين كبيرين هجومياً ودفاعياً الهجومى يصوبون فيه سهاماً طائشة نحو الإسلام . والدفاعى يقيمون فيه حصوناً متداعية حول المسيحية من وجه والكتاب المقدس بعهديه : القديم (التوراة وملحقاتها) والجديد (الأناجيل وملحقاتها) من وجه آخر .

الممارسات فى المطلب الدفاعى

تنحصر ممارساتهم فى المطلب الدفاعى حول الأهداف الآتية :

١ - الكتاب المقدس - بعهديه - مصون من التحريف ، محفوظ بيد من أنزله .

٢ - لا تناقض بين التوراة وملحقاتها والأناجيل وملحقاتها (أعمال الرسل) بل كل موضوعات الكتاب المقدس متسقة فيما بينها لها وحدة نصية ووحدة موضوعية واحدة ؟!

٣ - إن الكتاب المقدس على الرغم من اختلاف الطوائف المؤمنة به لا يختلف من طائفة إلى طائفة (هكذا والله يقولون) ؟!

٤ - ويدافعون عن الكتاب المقدس وما فيه من مخالفات صارخة، للعقل والعلم والواقع بأن الكتاب المقدس ومحتوياته حقيقة من حقائق الإيمان ، وحقائق الإيمان منحة من الله لعباده فلا تخضع لمعايير العقل ولا العلم ولا الواقع . قال هذا مارتن لوثر فى القرون الوسطى عندما قرر أن العقل والكتاب المقدس لا يجتمعان. فإما أن نؤمن بالعقل ونكفر بالكتاب المقدس ، وإما أن نؤمن بالكتاب المقدس ونكفر بالعقل . ولتفادى هذا الصدام تمسك بالمقولة السابقة « حقائق الإيمان منحة من الله فلا تخضع للعقل » (قصة الحضارة : ٢٤٠/١٦ لول ديورانت . الترجمة العربية) .

وقال مثل هذا القول الفيلسوف الألمانى كانت حيث لم يخضع الكتاب

المقدس أو « الوحى الكتابى » لسلطان العقل .

٤ – أما عن السيد المسيح فيروجون أنه مخلص العالم ولا وسيلة غيره للنجاة عند اللّه فلا إسلام ولا غير إسلام ينجى عند اللّه إلا باتباع مسيحية بولس بعد أن أضاع القول مسيحية المسيح . إن ملكوت اللّه له طريقة واحدة هى « المسيحية » التى تروج لها الكنائس الآن فى الشرق وفى الغرب .

وقد تضمن هذه التصورات كتاب « الباكورة الشهية فى الروايات الدينية وهو من إصدارات مركز الشبيبة التبشيرى بألمانيا الغربية ، وله عدة أفرع فى العالَم والكتاب لدينا نسخة منه باللغة العربية ، وقد رددنا عليه بكتاب نشرته دار الوفاء بالمنصورة دعوناه : الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ، ويقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير .

٥ – ويدعون – فيما يدعون – أن المسيحية خطاب للعالَم كله، فليست هى خاصة بشعب معين ، ولا لزمان معين . فهى رسالة كل زمان وكل مكان وينسبون إلى السيد المسيح أنه أمر حوارييه أن يكرزوا – يعظوا – العالَم كله بالإنجيل والواقع أن هذه دعوى موءودة فى مهدها لأن المعروف أن السيد المسيح لم يخرج بدعوته عن « خراف بنى إسرائيل الضالة » وهذا التعبير وارد فى بعض الأناجيل وهذا ما يؤيده القرآن على لسان عيسى عليه السلام : (ورسولاً إلى بنى إسرائيل) (الصف :) .

هذا مجمل ما يروجه المبشرون فى الجانب الدفاعى ، بالإضافة إلى

الدفوع اللاهثة عن المطاعن التى توجه إلى الكتاب المقدس بعهديه ، وإلى واقع الاعتقاد الكنسى . وما يوجهه أحرار الفكر من النصارى أنفسهم من مطاعن نحو الكتاب المقدس وعقائده وتصوراته عن الكون والخلق وقضايا الإنسان أضعاف أضعاف ما يوجهه المسلمون ، وقد ذكر ول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة ، وفى كتابه قصة الفلسفة فى العالَم ما لا حصر له من نقود أثارها مفكرون نصارى منذ حركة الإصلاح الدينى على يد مارتن لوثر وكالفن وغيرهما مثل فلوتير صاحب النقد اللاذع العنيف للاعتقاد الكنسى .

وكذلك نحا الأستاذ موريس بوكاى الفرنسى قبل أن يسلم ، فقد حفل كتابه « الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة » بنقود موضوعية جداً أثارها علماء ومفكرون غربيون ومنهم – رجال دين يهوداً ونصارى حول الكتاب المقدس ومحتوياته . هذه المطاعن استقطبت جهود بعض المبشرين . وكانت عاملاً من عوامل اشتداد الحملات التبشيرية ضد الإسلام ، لأن المبشرين أرادوا أن يشوهوا حقائق الإسلام بكل حيلة – حتى لا تكون النصرانية وحدها هى التى توجه إليها الطعون .. ؟!

* * *

الممارسات فى المطلب الهجومى

كانت أنفاس المبشرين قصيرة فى المحور الدفاعى وإن أرادوا هم إطالتها أما أنفاسهم فى المحور الهجومى ضد الإسلام فكانت طويلة لاهثة ولا غرو

فمن أراد أن يهدم حصناً منيعاً محكم الصنع فإنه ستتحطم قواه ، وتجمد سواعده عن الحركة ، دون أن ينال شيئاً وهو يريد أن ينال شيئاً فيتابع العمل ولا جدوى ينتهى حيث يبدأ ، ويبدأ حيث ينتهى . عمل متواصل ، وجهد مضن . ونتائج هى صفر الأصفار دائماً . وهذا يفسر لنا فى وضوح ظاهرة التضخم فيما يكتبه المبشرون ومساعدوهم من المستشرقين حتى بلغ عدد ما أصدروه من كتب تخدم هذا الغرض الهدام ستين ألف مجلد منذ سنوات ، وما تزال المطابع تفرز الجديد من أعمالهم كل يوم .

وتسهم فى إصداراتهم ومؤلفاتهم ضد الإسلام مراكز التبشير فى العالَم والمعاهد والجامعات .

ولدينا إحصائية نشرتها مجلة « هذه سبيلى » السعودية ، عن مؤسسات التبشير العالَمية . تقول الإحصائية :

« يوجد فى مختلف دول العالَم أكثر من ٨٠٠ جامعة ومعهد وكلية تخضع لتوجيهات البابا ، بالإضافة إلى مثل هذا الرقم من المدارس المختلفة ، ومن أهم مراكزهم هو مركز داكار بالسنغال . وتدل الإحصائيات على وجود ما يزيد على مائة ألف مبشر فى إفريقيا ؟ وأن عد المدارس والمعاهد الكنسية دون مستوى الجامعة يصل إلى ٦٧١ ر١٦ معهداً ومدرسة .... وأن عدد المستشفيات والمستوصفات التابعة للإرساليات يقرب من ألف . وأن ما ينفق سنوياً على المبشرين حوالى ٦٠٠ مليون دولار بإفريقيا وحدها. وأن الزيادة عادة فى هذه المعدات هى ٨٪ فى السنة » ؟!

المجـــلات

ويصدر المبـشـرون مجلات تبـشيـرية وأهمـها ثلاث : المجلـة الإسلامـيـة الفرنسـية والمجلة الإسلامـية الإنجليزية ، والمجلة الإسـلامية الألمانيـة وتمتاز هذه الإصـدارات بالبـحث الشـبـيه بـالأكاديمـى وطول النـفس وتقـدم خدمـات متـعددة للعـاملين فى مجـالات التبـشير ، وغنـى عن البيـان أن هذه المجلات تعرض للمسائل الإسلامية بسوء النية وتشويه الحقائق . وتتناول هذه المجلات الشئـون الحيوية للمـسلمين فتقدم بـعض الدراسات التى تفـيد خطة التبـشير كإحـصائيـات بتعداد المـسلمين فى كل بـلد وفى كل قارة ، ودراسـات عن عاداتهم وتقاليـدهم وطرق معاشهم ومناهج تفكيرهـم ، كما تقدم دراسات اقتصادية وثقافية لتسهل على ممارسى عمليات التبشير مهمتهم .

* * *

دراسة الإسلام

قلنا إن أعـداء الإسلام يعـملون بجد ونظـام من خلال خطط مـدروسة وموضوعة بعناية فائقـة ، لأن مهمة المبشر تقتضى أن يكون عالماً بما يـبشر به وما يبشر ضده ولـعل القارئ يدهشه ما يرويه واطسون أحد قـادة التبشير إذ يقول :

« إن مجلس الكنائـس العالمى قـد كون هيئـة خاصة لـبحث مضـمون الإسلام وطرقـه فى الدعوة ، وأفضل الوسـائل التى يمكن نشـر المسيحيـة بها لتـكون بديـلاً للإسـلام وواطسـون هذا هو الـذى اقتـرح علـى الحكومـات

الغربية أن تتعاون فى سبيل منع انتشار الإسلام بين القبائل الوثنية فى أفريقيا » (التبشير والاستعمار ١٤٥) .

وفى هذا الإطار كثيراً ما يوصى المبشرون بالإطلاع على الكتب الإسلامية والقرآن والحديث وكتب السيرة والتاريخ .

ومما لا نزاع فيه أن معاهد تخريج المبشرين تدرس مناهج مكثفة عن الإسلام ولدينا أحد المناهج التى تدرس فى كلية اللاهوت بمصر مشحون بالروايات الموضوعة والتفسيرات المغلوطة لنصوص قطعية الثبوت أسئ عن قصد تفسيرها واستخراج معان منحولة لا أساس لها أبداً . إن كبار المبشرين يعرضون الإسلام لتلاميذهم عرضاً مكذوباً يتحاملون فيه على الإسلام وهم على يقين من أنهم كاذبون ولكن الغاية — دائماً — تبرر الوسيلة عند من لا دين لهم ولا خلق ؟!

وقد مر بنا الحديث عن كتاب « البحث عن الدين الحق » الذى يدرس فى مدارس التبشير بلبنان وغيرها من أوكار التبشير .

وفى مدارس المسلمين

ويوم يكون للاستعمار نفوذ على بلد إسلامى ما . فإنهم يقلصون ظل الإسلام فى مدارس أبناء المسلمين . وفى ذلك يقول صمويل زويمر رئيس المبشرين فى النصف الأول من القرن العشرين :

« إن القضاء على الإسلام فى مدارس المسلمين هو أكبر واسطة

للتنصير؟ وقد جنينا منه أعظم الثمرات ؟ إن السياسة الاستعمارية كما قضت على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية ، فأخرجت منها القرآن ثم التاريخ الإسلامى استطاعت أن تخرج أجيالاً مضطربة ، مادية الأغراض، لا تؤمن ولا تعرف حقاً فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة »؟! (هذه سبيلى ٢٧٩) .

قال الدكتور زويمر هذا الكلام ضمن تقرير قدمه لمؤتمر تنصير عالمى عام ١٩٢٥ م .

وهذه السياسة الاستعمارية ما تزال تضرب بجذورها فى كثير من بلاد المسلمين وهى السياسة التى انتهجها ناظر المعارف الإنجليزى فى مصر « دانلوب » وما تزال مناهج التعليم العام مثار شكوى لدى العارفين لاحتوائها على شوائب كثيرة ضد مصلحة الوطن ، وضد مقاصد الدين . وتركيز الاستعمار والتبشير على التعليم فى تحقيق أغراضهم يرجع لخطة ماكرة وضعها زويمر فى مطلع هذا القرن حيث قال :

« ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنياً قبل كل شئ على قواعد التربية العقلية » (الغارة على العالَم الإسلامى ص٩).

وقد أثمرت هذه الخطة بالنسبة للتبشير والاستعمار أينع الثمار. فبالنسبة للاستعمار استطاع أن يصنع له خلفاء من بعد رحيله يبثون فكره ويروجون بضاعته فيما يكتبون وما يقولون وما يفعلون والساحة – الآن – تعج بهم فى مصر فى شتى الميادين : سياسة وفكرية وفنية ، وليس غير مصر أسعد

منها حظاً إلا من عصمه اللّه .

وبالنسبة للتبشير فإنه استطاع أن يجند له عملاء من بنى جلدتنا يقولون ويروجون ما لا يستطيع التبشير نفسه أن يقوله أو يروجه وسيأتى لهذا تفصيل فى الحديث عن عملاء المبشرين .

* * *

مطاعن التبشير فى الإسلام

تناول المبشرون فى محاربتهم التبشير ضد الإسلام : كليات الإسلام وجزئياته أصوله وفروعه . ولم يسلم من كيدهم شئ . وفيما يلى عرض سريع جداً لمجمل طعونهم :

القرآن الكريم

قالوا : إنه ليس وحياً ، وليس معجزاً وأنه من تأليف محمد ص اقتبسه من التوراة والأناجيل . ثم صاغه فى أعلى أساليب البلاغة والفصاحة العربية . وأن الإتيان بمثله ممكن .. ؟!!

وهو حافل بالتحريفات والتناقضات .. ؟! (الباكورة الشهية ١١٨) .

* * *

رسول الله ﷺ

قالوا : إنه ليس رسولاً من عند اللّه ، ولكنه كان من شيوخ العرب الأذكياء جداً ، طلع على قومه بدعوى الرسالة فلما انطلت عليهم استمرأها وسار فيها حتى النهاية وإنه كان « شهوانياً » كثير التزوج بالنساء ولم يكن يعرف عن اليهودية والنصرانية شيئاً ذا بال . وحتى لو سلمنا أنه كان رسولاً فهو رسول إلى العرب وحدهم ... وأنه لم يبشر به لا موسى ولا عيسى ؟!! (نفس المصدر وتاريخ كارل بروكلمان) .

* * *

الصحابة

هم عند المبشرين رعاة غنم وسفاحون وقتلة ومعتدون آثمون حملهم حب الدنيا والمال على الغزو والإغارات على جيرانهم وعلى غير جيرانهم والغلبة (بالسيوف) وهم متوحشون مولعون بسفك الدماء ؟! (الفكر الإسلامى الحديث ٢٦٠ للدكتور البهى) .

* * *

الإسلام نفسه

أصوله وفروعه تلفيقات من حضارات الأمم وبخاصة الروم .. وقيمه ومبادؤه تصورات ساذجة طبعت المسلم على التوحش والأنانية والتعصب

وفرض السيطرة على خلق اللّه . والإسلام زين لاتباعه الحياة المادية فى الدنيا والآخرة . ووعدهم بجنات فيها نساء جميلات وفواكة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . ولحم طير شهى وخمر ولبن وعسل وماء وجداول وأنهار وأكواب من فضة وآرائك (مساند) يتكئون عليها . (الأخلاق النظرية فى القرآن للدكتور : محمد عبد اللّه دراز . والدين له كذلك) .

* * *

المسلمون

قطعان من البَشر متخلفون سذج أجلاف أقعدهم دينهم عن ركب الحضارة ولا بد لهم أن يعيشوا على ما تفرزه قرائح أمم الحضارة فهم فى تبعية دائماً إن أرادوا لأنفسهم نفعاً . وفى عزلة دائماً إذا ظلوا على تخلفهم. (كتب سلامة موسى دار الثقافة بالفجالة فى مواضع متعددة) .

هذه جُمْلِّياتُ ما يروجه المبشرون عن الإسلام والمسلمين وهم يعلمون علم اليقين أنهم كاذبون فى تصوراتهم . وإنما هم يريدون أن يشوهوا الإسلام فى نظر المسلمين ليحدثوا انفصالاً بينهم وبين دينهم الذى هو عصمة لهم لو تمسكوا به . إنها حملات تشكيك وتغريب الهدف منها — كما أفصحوا هم — إضعاف المسلمين لذلك تضافرت جهود المستشرقين والمبشرين يساندهما الاستعمار على محاربة مصادر القوة عند المسلمين .

فكانت طعونهم فى القرآن لم ولن تتوقف .

وكانت طعونهم فى صاحب الرسالة التى لم ولن تتوقف .

وكانت طعونهم فى حقائق الإسلام التى لم ولن تتوقف .

وكانت محاربتهم للغة العربية التى هى وعاء الإسلام وأحد مقومات الوحدة بين المسلمين يقول الدكتور صموئيل زويمر زعيم المبشرين فى أوائل هذا القرن :

« يوم لا يبقى اللسان العربى هو لغة التجارة فى إفريقيا لا يبقى خطر من جهة الإسلام ، لأن مدارسه حينئذ ستصير قفرة » .

قال هذه العبارة بعد أن قال : « ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق (الإسلامى) مبنياً قبل كل شئ على قواعد التربية العقلية » ، ثم قال : « وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليبث فى دين الإسلام التعاليم المستمَدة من الجامعة الفرنساوية » (الغارة على العالَم الإسلامى ٤٠) .

ولهذا حارب الاستعمار والمبشرون الأزهر لأنه حصن الإسلام ومعقل اللغة العربية وعاء الإسلام . ويوم يصبح المسلمون بمعزل عن اللغة العربية فسيكونون – كذلك – بمعزل عن الإسلام نفسه . فيتردون فى الهاوية .

وحارب المبشرون مع الاستعمار فكرة الجامعة الإسلامية لأنها خطر على الوجود الاستعمارى كله ، وعلى المبشرين أنفسهم .

وهم من قبل قد فككوا الوحدة الإسلامية فى ظل الخلافة العثمانية إلى

قوميات (القومية العربية — القومية التركية — القومية الفارسية) ثم فككوا كل قومية إلى وطنيات . وكان نصيب القومية العربية من هذا التفكك أشنع وأبشع لأن بقاء العرب فى رباط قومى يخيف أعداء الإسلام فكانت الوطنية المصرية والوطنية السورية والوطنية العراقية ... إلخ .

ثم فككوا الوطنية الواحدة إلى طوائف وعصبيات . ففى مصر أذكوا روح التفرقة بين المسلمين والأقباط ودعوا إلى إحياء الفرعونية القديمة وفى العراق دعوا إلى إحياء الآشورية وفى لبنان وفلسطين دعوا إلى إحياء الفينيقية وفى شمال غرب إفريقيا دعوا إلى إحياء البربرية وفى اليمن فصلوا شماله عن جنوبه وفى السودان فرقوا بين الشمال والجنوب وفى الشام قسموه إلى أربع دويلات وفى لبنان قسموه إلى طوائف متناحرة تدور بينها الآن حروب طاحنة .

وبين الهند والباكستان صنعوا مشكلة كشمير ، وفى الباكستان فصلوا عنه بنجلاديش وفى فلسطين زرعوا إسرائيل . ناهيك عن الفتن والتحزبات التى فتنت كيان المسلمين ذرات وهباء منثوراً .

لم تخل حركة استعمارية من معاضدة تبشيرية ولا مؤسسة تبشيرية إلا ولها سند استعمارى مالى ومعنوى .

* * *

بعض نماذج من الممارسات التبشيرية ضد الإسلام

– اتخذوا من مبدأ تعدد الزوجات مطعناً وسُبَّة وبخاصة تعدد زوجات النبى ﷺ .

– اتخذوا من نظام الزكاة مطعناً وسبة وقالوا إنه يخلق قطاعاً فى المجتمع يحب « البطالة » ويعيش « بلطجياً » على جهود غيره .

– اتخذوا من حجاب المرأة المسلمة مطعناً وسبه ، وقالوا : إنه علامة الرجعية والتخلف .

– اتخذوا من قانون العقوبات الإسلامية كرجم الزانى وقطع يد السارق مطعناً وسبة وقالوا إنه تشويه للإنسان وتساءلوا من الذى يقطع يد السارق ؟ الطبيب الذى أقسم على اسعاد البَشر أم الجزار ؟!

– اتخذوا من إباحة الطلاق فى الإسلام – إذا دعت ضرورة شرعية – مطعناً وسبة وقالوا : إنه إهانة للمرأة واعتداء على حقوق الأسرة ؟!

– اتخذوا من ورود القراءات فى القرآن مطعناً وسبة وقالوا إن القرآن محرف مزور ؟!

– اتخذوا من تحريم الربا فى الإسلام مطعناً وسبة وقالوا : إن الإسلام يعوق حركة الاقتصاد القومى ويصيبه بالشلل ؟!

– اتخذوا من مبدأ التبشير بالنعيم المقيم فى الإسلام ، ومن الإنذار بالخلود فى الجحيم أو الاصطلاء بها مدة مطعناً وسبة . وقالوا : إن الإسلام

دين مادى شهوانى لا مثالية فيه ؟!

– اتخذوا من الطواف بالكعبة المعظمة وتقبيلها مطعناً وسبة وقالوا : إن الإسلام دين وثنى ؟!

– اتخذوا من الإيمان بالقضاء والقَدَر فى الإسلام مطعناً وسبة ، وقالوا : إن الإسلام دين التواكل والخذلان .

– اتخذوا من وجوب الرجوع إلى كتاب اللّه وسُنَّة رسوله مطعناً وسبة وقالوا : إن الإسلام يحجر على العقل ويدعو إلى الجمود ؟!

وهكذا .. وهكذا لم يسلم شئ من محاسن الإسلام من طعونهم حتى ليحق للإسلام أن يقول كما قال الشاعر :

إذا محاسنى اللائى أدل بها

أضحت ذنوباً فقل لى : كيف اعتذر ؟

* * *

عملاء المبشرين

قلنا إن كلاً من الاستعمار والاستشراق والتبشير اتخذوا لهم عملاء من بني جلدتنا . واعتمدوا عليهم أكثر مما يعتمدون على أنفسهم وكان التعليم الأجنبى فى البلاد الإسلامية . ونظام الابتعاث إلى جامعات الغرب والشرق أكبر معوان لهم فى تنشئة عملائهم وتجنيدهم . ونعرض فيما يلى لبعض أعمال عملاء كل من هذه الظواهر المتحدة الهدف .

عملاء الأعداء أخطر من الأعداء أنفسهم لأن العدو شأنه معروف والحذر منه قائم .

أما العميل فيعمل دائماً خلف الضباب ، وهو معدود من قومه لا من غيرهم فحديثه مع قومه حديث الرائد مع أهله ، والرائد لا يكذب أهله . ومكمن الخطر فى نشاط العملاء أنهم يوجهون ويقولون فى صورة نصائح تخدم هدف الأمة . فالثقة فيهم موفورة والركون إليهم مألوف كما يألف الجندى فى ميدان القتال رفيقه الواقف عن يمينه أو يساره أو خلفه . فالهدف واحد والجهد متحد والمصير مشترك لذلك كان خطر العملاء أشد على أمتهم من خطر أعداء الأمة أنفسهم . وقد منيت المجتمعات الإسلامية بحفنة من عملاء التبشير والاستشراق الجارى على طرائقهم فأضيرت بهم الأمة أكثر من اضرارها بأعدائها الصرحاء . ولدينا نماذج عديدة من أنشطة عملاء التبشير والاستشراق الجارى على طريقة التبشير نجتزئ منها الواقائع الآتية :

١ – مستقبل الثقافة فى مصر :

مؤلف هذا (الكتاب) هو الدكتور طه حسين الذى أغرم بالحضارة الغربية إلى حد الافتتان وكره الحضارة الإسلامية بقدر ما أحب حضارة الغرب ودعا بنى جلدته إلى الإنسلاخ عن كل ما هو إسلامى والارتماء فى أحضان أوروبا بلا أدنى مناقشة ولا تفكير (تقليد أعمى) وتجاهل وجود الإسلام فى مصر إذ لم تكن مصر – عنده – إلا فرعونية قديماً ، وأوروبية حديثاً . وسخر من الآزهر الذى كان له فضل كبير عليه ، وحرض على إنشاء المؤسسات التعليمية المناوئة له ، وروج لفقدان الثقة فيه ورماه بالتخلف ، ومصر – عنده – كوكب يدور فى فلك حضارة البحر الأبيض مقطوعة الصلة بجاراتها الدول الإسلامية العربية ؟ وادعى الدكتور طه أن الدين واللغة غير صالحين لقيام الدول والتوحد بينها .. ؟!

ثم رسم الخطة لنهضة مصر – كما يرى هو – وهى – أى الخطة – أن تسير مصر سيرتها القديمة الفرعونية التى كانت تتمتع بها قبل الفتح العربى (يعنى الإسلامى) ونظام الحكم المثالى ، وطرق التفكير المثالية هما ما عليه أوروبا . وعلى مصر أن تنقلهما عن أوروبا نقلاً حرفياً بل تردد والعيب كل العيب هو التباطؤ فى هذا النقل ؟!

هذه خلاصات موجزة جداً لما دعا إليه طه حسين . ونذكر – فيما يأتى – نماذج من أقواله حرفياً :

« ... أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ،

ولنكون لهم شركاء فى الحضارة : خيرها وشرها حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب » ؟؟!!

(مستقبل الثقافة : ٢/٢٨٩)

« أن نتعلم كما يتعلم الأوروبى .. ولنحكم كم يحكم الأوروبى ثم لنعمل كما يعمل الأوروبى ، ونصرف الحياة كما يصرفها » ؟!

(نفس المصدر : ١/٤٩)

« ومن المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ؟! ولا قواماً لتكوين الدول » ؟!

(نفس المصدر : ١/١٥)

« إن السياسة شئ ، والدين شئ آخر . وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شئ آخر » ؟!
(نفس المصدر : ١/١٧) .

« إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشئ فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، وإن تبادل المنافع فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط » (١/٦ ، ١٠) .

« والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاهاا – مصر – عن الفتح العربى – يعنى الإسلامى – بعد الفتح لم يبرأ من السخط (؟!) ولم يخلص من

المقاومة والثورة وبأنها – مصر – لم تهدأ من الثورة ولم تطمئن إلا بعد أن أخذت تسترد شخصيتها » ؟! (نفس المصدر ص ١٨).

« وأنا من أجل ذلك مؤمن بأن مصر الجديدة لن تبتكر ابتكاراً ، ولن تخترع اختراعاً ، ولن تقوم إلا على مصر القديمة الخالدة (الفرعونية) ... ومن أجل هذا لا أحب أن نفكر في مستقبل الثقافة في مصر إلا على ضوء ماضيها البعيد (الفرعوني) وحاضرها القريب (الاقتداء بأوروبا). (نفس المصدر) .

وخلاصة هذا في سطرين :

أن على مصر أن تخلع ثوبها الإسلامي وتقبل على حضارة أوروبا بلا تردد . وأن تحيي ماضيها الفرعوني . فالإسلام فيها جسم غريب لم تتأثر هي به طوال ١٤ قرناً من الزمان ؟!

ألف طه حين هذا الكتاب عام ١٩٣٨ م بعد ١٤ عاماً من مصادرة كتابه في الشِعر الجاهلي الذي أعلن فيه براءته من دينه . فكان هذا الكتاب تعويضاً عن ذاك وفكر طه حسين استشراقي تبشيري في لحمته وسداه ، وهو أحد أسباب الانحلال والتمرد على القِيَم الإسلامية الذي طم وعم في عصرنا الحاضر .

٢ – تحرير المرأة :

ألف هذا (الكتاب) قاسم أمين كما ألف كتاباً آخر دعاه (المرأة

الجديدة) فى الكتاب الأول دعا المؤلف إلى سفور المرأة ونبذ الحجاب ، وادعى « إن الشريعة الإسلامية إنما هى كليات وحدود عامة . ولو كانت قد تعرضت إلى تقرير جزئيات الأحكام لما حق لها أن تكون شرعاً عاماً ؟! يمكن أن يجد فى كل زمان وكل أمة ما يوافق مصالحها . أما الأحكام المبنية على ما يجرى من العادات والتقاليد فهى قابلة للتغيير على حسب الأحوال والأزمان ... » .

(تحرير المرأة ١٦٩)

وركز المؤلف فى كتابه هذا على أربع قضايا غاية فى الأهمية والحيوية وهى :

الحجاب ، واشتغال المرأة بالشئون العامة فى المجتمع . وتعدد الزوجات والطلاق وذهب فى كل قضية منها مذهب الفكر الأوروبى مخالفاً ما قرره فيها الإسلام مدعياً – عناداً أو مكابرة – أن ما ذهب إليه المفكرون الغربيون فيها هو مذهب الإسلام ؟!

وحاول المؤلف أن يثبت فجوة خطيرة بين النصوص الشرعية قرآناً وسُنَّة وبين فهم الفقهاء لهاولم تسلم عباراته من التهكم على الفقهاء الأئمة والسخرية بهم مشيراً من طرف خفى إلى أن مفكرى أوروبا من القساوسة مبشرين ومستشرقين أقرب فهماً لنصوص الشريعة من فقهاء المسلمين ؟!

وفى كتابه الثانى « المرأة الجديدة » برز تأثره بمناهج الفكر الغربى وعزا تخلف المسلمين لنظام الأسرة المسلمة ، وادعى أنه نظام متأثر بنظام العرب

فى الجاهلية حين أقصوا المرأة عن المشاركة فى الحياة العامة لأنهم – العرب قبل الإسلام – كانوا يعيشون حياة النهب والسلب وليس للمرأة نصيب فيهاا ... ؟!

ثم يدعو فى نهاية كتابه إلى الأخذ بالحضارة الغربية كما دعا طه حسين من قبل .

وخلاصة فكر قاسم أمين : أن المرأة الشرقية (المسلمة) ترهلت لحبسها فى البيت وعزلها عن الحياة العامة . وتسبب ارتداؤها الحجاب فى جهلها وتخلفها ولكى تصبح عضواً عاملاً فى الحياة فعليها أن تكسر قواعد الأخلاق فتطرح الحجاب وتفارق المنزل وتنال قسطاً من التعليم الحديث وتقتدى بالمرأة الأوروبية فى سلوكياتها وحركاتها وسكناتها وتزاحم الرجل فى كل مكان . وأن تطرح مذاهب فقهاء الشريعة وتعمل بمذاهب الفكر الغربى المتحررة، وتهجر – إلى الأبد – عصر الحريم ؟!

وفكر قاسم المرأة هو بلا نزاع أبرز الأسباب فى الانحلال الخلقى المعاصر عند النساء والرجال ، تبذلت المرأة فتهافت عليها الرجل وتفككت عرى الأسرة وكثرت الخيانات وعم الفساد فى البر والجو والبحر ، وتفشت حوادث الخطف والاغتيال ونصب الشيطان حبائله فى كل مكان ... ؟!

٣ – الإسلام وأصول الحكم :

وثالثة الأثانى من أعمال عملاء التبشير كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الذى ينسب للشيخ على عبد الرازق القاضى الشرعى . نقول :

« ينسب » ولا نقول « تأليف » لأن باحثاً معاصراً هو الدكتور ضياء الدين الريس رحمه الله توصل إلى قرائن وأسباب مقنعة جداً بأن هذا الكتاب من تأليف أحد المستشرقين المبشرين ولسر ما رضى الشيخ عبد الرازق بنسبة الكتاب إليه . أما أهداف دعاة التبشير من إصدار هذا الكتاب باسم الشيخ على عبد الرازق فواضح كل الوضوح . فالشيخ مسلم أزهرى وقانونى شرعى وحين يصدر الكتاب باسمه يكون له تأثير أى تأثير فى نفوس بنى جلدته من المسلمين .

* * *

مضمون الكتاب

لكتاب الإسلام وأصول الحكم مضمون أو محور واحد يدور عليه أو فرضية واحدة يدعيها ثم يجهد نفسه لاثبات صحتها والتدليل عليها وما ذلك بمستطاع .

مضمون هذا الكتاب أو دعواه : أن الإسلام دين لا دولة ؟ هو دين محراب ولا شأن له بإدارة شئون الحياة . وقد نهج فيه مؤلفه - أياً كان الشيخ أو غيره - منهج القساوسة ومنهج أحرار الفكر الذين ثاروا على سلطان الكنيسة فى الغرب فى عصر التنوير وما تلاه . فكما عزل هؤلاء الكنيسة ومعها المسيحية عن الحكم والسياسة حاول مؤلف الإسلام وأصول الحكم أن يجعل من الإسلام مسيحية أخرى لا تجيد إلا الترانيم فى الهياكل والصلاة على الموتى . فالإسلام فى نظر المؤلف دين فحسب أما ما يدعو

إليه من وحدة بين المؤمنين فهو وحدة دينية خالصة لا وحدة حكومة ولا دولة ولا سياسة . أما الحروب التى وقعت فى صدر الإسلام فهى أمر زائد عن حقيقة الإسلام نفسه . وضرورة دعت إليها مراسم الزعامة النبوية وبناء على هذا فإن الجهاد قد توقف بعد وفاة الرسول لأن الزعامة النبوية لا تعتبر إلا فى حال حياته ؟!

ويستدل على هذا الزعم بأن :

« ولاية الرسول على قومه ولاية روحية ، منشؤها إيمان القلب . وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلب اتصال .

تلك الولاية هداية إلى اللّه وارشاد إليه . وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض . تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك للّه وهذه للناس ! وما أبعد ما بين السياسة والدين » ؟!

(الإسلام وأصول الحكم ٤٩)

ومؤدى هذا الكلام :

– إسقاط فريضة الجهاد لأنها كانت مرتبطة بحياة النبى ص ، ومن لوازم الزعامة النبوية .

– فصل الدين عن السياسة فهذه لشئون الحياة ، وذلك لمحراب العبادة .

* * *

مثل من حياة عيسى عليه السلام

وفى تأكيد فصل الدين عن السياسة يسوق مثلاً من حياة المسيح عليه السلام فيقول :

« ولقد كان عيسى بن مريم عليه السلام رسول الدعوة المسيحية . . . وكان مع هذا يدعو إلى الإذعان لقيصر ، ويؤمن بسلطانه . . . وهو القائل : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما للّه للّه » .

(نفس المصدر والموضع)

ويتمادى المؤلف فى الإضلال والتضليل ويزعم أن الدين يجب أن يخضع لصاحب السلطان ولو كان السلطان خارجاً عن أصول الدين فيقول :

« تكلم عيسى ابن مريم عليه السلام عن حكومة القياصرة وأمر أن يعطى ما لقيصر لقيصر ، فما كان هذا اعترافاً منه بأن الحكومة القيصرية من شريعة اللّه ؟ ولا مما يعترف به دين المسيحية » ؟! (نفس المصدر والموضع) .

وهدف المؤلف أن الدين يخضع للنظام السياسى دون أن يعنيه أن يكون هذا النظام متسقاً مع الدين أو منفصلاً عنه ؟!

وهذا الكلام المسوق عن المسيحية استهدف به المؤلف قص جناحى الإسلام فليس للإسلام من الأمر شئ فليخضع الدين لذوى السلطان ، ولو

كان السلطان شيوعياً ملحداً . ويفصح المؤلف عن غرضه فيقول :

« وكل ما حرى من أحاديث النبى ص من ذكر الإمامة والخلافة والبيعة لا يدل على شئ أكثر مما دل عليه المسيح » ؟!!

يعنى أن الرسول عليه السلام كان يقر بالأمر الواقع ويحترم السلطان ويدعو لطاعته بصرف النظر عن عدالة هذا السلطان أو جوره ؟!

ويقول ويا لهول ما يقول :

« أن محمداً ص ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين وأنه (ﷺ) لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذى يفهم سياسة .... ما كان إلا رسولاً وما كان ملكاً ، ولا مؤسس دولة » (المصدر ٨٠)

ويعرض المؤلف للآيات والأحاديث التى تخالف دعواه ويؤولها تأويلاً خاضعاً لهواه نبرأ من التعرض لذكره فقد بان هدفه واضحاً مما تقدم . والكتاب – بعد – مشحون بالمغالطات والسفاسف التى شأنها أن تصدر عن رجل مخمور أو محموم .

ومؤدى فكر الشيخ على عبد الرازق الدعوة إلى فصل الدين عن السياسة كما فعلت أوروبا بعد قيام الثورة الفرنسية والكتاب ترجمة صادقة لفكر المبشرين وخدمة مخلصة لأهدافهم التى تلتقى هنا مع أهداف الاستعمار والعلمانيين لعزل المسلمين عن الإسلام لكسر شوكتهم وهو إسهام واضح فى انساء المسلمين صدمة سقوط الخلافة العثمانية التى جمعت شمل

المسلمين وبخاصة أن الكتاب صدر مواكباً لها . ومن أوضح الأدلة على « عمالة » هذا الكتاب لأهداف التبشير والاستعمار أنه ترجم إلى عدة لغات أوروبية وأسهم فى دراسات علم الاجتماع فى الغرب ويدرس فى الجامعات الأمريكية وغيرها على اعتباره دراسة صادقة عن الإسلام ؟

٤ – نظرات فى الوحى :

هذا الكتاب وضعه من يسمى « فتحى محمد فراج » مهندس ونشره ما يسمى « مركز الطباعة والنسخ بأسيوط » ٦٢ ش محمد على مكارم . وهو مركز قبطى ومن المرجح عندنا أن اسم المؤلف مستعار لشخص وهمى لأننا جددنا فى طلب اللقاء به فأعيانا الحصول عليه ، وقد قال لنا موظف بمركز الطباعة المذكور : أن المؤلف لا يقابل أحداً قط ؟! وهذا ما يرجح عندنا أنه اسم وهمى وأن الكتاب من وضع كنيسة أسيوط وهناك احتمال آخر أن يكون هذا الاسم صاحبه عميلاً للتبشير المحلى رضى بأن يوضع اسمه على الكتاب ليروج بين أيدى الشباب المسلم دون أن يفطن أحد للمؤامرة وراءه أو ألفه هو لحساب أوكار التبشير وله عدة كتب أخرى من أطرفها كتاب « القرآن بلا نار » ولم نطلع عليه .

* * *

مضمون كتاب نظرات فى الوحى

نقول بإيجاز شديد أن مضمون هذا الكتاب الذى يقع فى ٦٨ صفحة من القطع الكبير يدور حول فكرة واحدة رئيسية بالإضافة إلى أفكار أخرى تمهد للفكرة الأم وتخدمها والفكرة الرئيسية هى:

إن القرآن من تأليف محمد ص ولذلك فإن المؤلف وضع أسفل عنوان الكتاب عبارة مقتبسة من القرآن الكريم نفسه وهى :

(إنه لقول رسول كريم) يعنى أنه ليس وحياً من عند الله بل هو كلام الرسول نفسه ليوهم السذج من قرائه أن فكرته التى يروج لها فى الكتاب صحيحة ؟!

أما الوحى – عنده – فهو الهام – وهو – أى الوحى – ليس خاصاً بالرسل والأنبياء بل عام فى جميع الناس والملائكة ليسوا خلقاً مستقلاً بل هم أرواح الموتى من بنى آدم ؟! لأن بعض الأرواح ما تزال تترقى بعد الموت حتى تكون (بكسر الواو المشددة) عالَم الملائكة : يقول : « فكل الملائكة أرواح وليست كل الأرواح ، ملائكة لأن الملائكة أرواح الموتى الأبرار » .

(نظرات فى الوحى ص ٣٠)

ويعرض المؤلف لظاهرة النسخ فى القرآن ويسميها : « التنقيح » ولهذه التسمية هدف خطير عنده . فالمؤلف يقول إن الرسول – أى رسول –

يكون فى عملية تنقيح مستمر لشريعته حتى بعد أن يموت . ومحمد ص واحد من الرسل وعملية تنقيحه لشريعته وقرآنه باقية إلى الأبد ، وهو عن طريق الإلهام هذا يجئ ويروح ليضيف إلى قرآنه وشريعته أو يحذف منها ما تدعو إليه الحاجة وكل إنسان من اتباع الرسول صالح لأن يكون متلقياً للإلهام عن الرسول ، إما فى شكل رؤية منامية أو فى حال اليقظة .

وبهذا يصبح معنى النسخ ميسوراً عند المؤلف . يقول : « أما النسخ فشرحه يطول ولكن فهمه أصبح ميسوراً بعد الذى قلناه ، ويمكن اعتباره نوعاً من التنقيح » (نفس المصدر ص ٣٨) .

وغاية الغايات يثبتها فى آخر فقرة فى الكتاب بقوله :

« يستطيع كل نبى وكل مفكر مات أن ينقح ويحسن أفكاره السابقة عن طريق الإلهام . أى أن الوحى مستمر لم ينقطع ولن ينقطع » ؟! (نفس المصدر ص ٦٥) .

* * *

وما المقصود ؟

المقصود من هذا الكلام سلب قدسية القرآن فهو ليس وحياً من عند اللّٰه . بل هو كلام البَشر . وهو أى القرآن خاضع للتعديل والتبديل عن طريق الإلهام وأن الوحى – بهذا المعنى – مستمر كل يوم يأتى بجديد . وهذه الخرافات تفتح الباب واسعاً لهدم الإسلام باسم الإسلام . فليس بعيداً –

عملاً بنظرية المؤلف الهمام – أن يكون مصطفى كما أتاتورك ملهماً . وأن قضاءه على الإسلام فى تركيا كان نوعاً من التنقيح تلقاه عن طريق الإلهام أو الوحى العجيب « المودرن » وليس بعيداً أن يكون الدجالون ومدعو النبوة والمهووسون ملهمين وموحى إليهم – كذلك – ؟!

أجل إن كل إنسان يستطيع أن يكون رسولاً صاحب وحى . فيكفى أن ينام ساعة يحلم فيها فيكون رسولاً . أو حتى يحلم وهو يقظ فيكون حلمه إلهاماً أو وحياً ثم ماذا يبقى من الإسلام بعد ذلك ؟!

إن الإجابة تتوقف على كشافة نشاط الوحى المودرن ؟! وعمليات التنقيح؟!!

* * *

وقفة قصيرة

تلك أربعة نماذج للفكر التبشيرى العميل ، ولا شك أن لثلاثة منها صلة وثيقة بما يدور فى المجتمعات الإسلامية اليوم . وهذه الثلاثة هى : مستقبل الثقافة فى مصر . وتحرير المرأة و المرأة الجديدة . والإسلام وأصول الحكم : الأولان لهما صلة وثيقة بحركات التغريب فى الفكر والسلوك ، والثالث له صلة وثيقة فى مقولة : « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين » وإنا لنجد الآن انفصالاً بين أنظمة الحكم فى المجتمعات الإسلامية وبين الإسلام إلا من عصم الله ، وقد اتيحت الفرص بسبب هذه الظواهر الفكرية العميلة

لأعداء الدين فى كل مكان فأخذوا يسخرون من الدعوة إلى تطبيق الشريعة، ويعدون ذلك نوعاً من الرجعية فى مجالات الحكم والتوجيه ونوعاً من الجمود والرجعية فى مجالات الفكر والسلوك . ولا نكون مغالين إذا قلنا أن هذه الكتابات العميلة ، اتسقت تماماً مع أهداف التبشير والاستشراق التبشيرى . لأنها – أى الكتابات العميلة المشار إليها – التقت مع أعمال المبشرين فى النقاط الآتية :

– إبعاد الإسلام عن السياسة (الحكومة – الدولة – السيادة العامة) .

– وعن علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

– وتجريد الإسلام من قوته المادية وأسبابها كالاتحاد والجهاد والزود عن الحقوق والأوطان .

– ومحو شخصية الإسلام وانخراطه فى المجتمع الدولى وقبول ولاية غير المسلم على المسلم .

– تزيين الخروج عن الإسلام باسم التحرر والمعاصرة وتنفير المسلمين من التمسك بالإسلام باسم الرجعية والجمود والتخلف .

– التأكيد على أن الإسلام دين روحى يحكم العلاقة بين العبد وخالقه؟ ولا يتعدى هذا المجال بحال .

– الترويج لمقولة : أن أحكام الإسلام أحكام « ظرفية » مؤقتة أن صلحت لعصر الإسلام الأول فلن تصلح – الآن – لتطور الحياة واتساع

جوانب النشاط فيها .

– دعوة المسلمين للاقتداء بأوروبا فى مناهج التفكير ونظم الحكم وعاداتهم وتقاليدهم فى الحياة اليومية .

والتفكير الأوروبى الذى يدعوننا إليه هو التفكير العلمانى المادى الذى يحصر طرق المعرفة فيما تدركه الحواس وأن ما لا تدركه الحواس فهو « خرافة » :

اللّه ، والملائكة ، والوحى ، والحياة الآخرة ؟!

ونظم الحكم التى يدعوننا إليها هى النظم الوضعية التى ترى أن الشعب هو مصدر السيادة والسلطة فمنه يبدأ الأمر وإليه ينتهى ، وليس للّه تدخل فى شئونه . فاللّه – فى نظر هذه النظم هو كصانع الساعة فبعد أن خرجت الساعة من يد الصانع فإنها تعمل دون احتياج إلى تدبير منه ، وكذلك شئون الكون والحياة فى بعض النظم التى يدعوننا إليها .

وبعضها الآخر يؤمن بالساعة التى خلقت نفسها فيجحد وجود اللّه أصلاً ويجحد ما اتصل بمبدأ الإيمان باللّه . وإلى هذا انتهى بعض أو متأخرو عصر التنوير فى أوروبا .

هذه هى أهداف التبشير والاستشراق التبشيرى . والنماذج التى أشرنا إليها من الكتابات العميلة وإن لم تفصح عن كل هذه الأهداف فيكفى أنها دعت إليها كلها « جملة » وإلى كثير منها « تفصيلاً » ووسائل الإعلام

العميلة تضفى على هؤلاء « الخوارج » عملاء أعداء الأمة ألقاباً وكنايات مغرية كعميد الأدب العربى ورائد التنوير الإسلامى ، ومحرر المرأة ، وهذه كلها من رسم وتخطيط عمالة مستترة تحركها قوى معادية للأمة وتتربع على كراسى الإدارة والتوجيه فى التلفازات والإذاعات والجامعات والصحف والفن . وفى كل موقع حساس له صلة بصناعة الرأى وإصدار القرار ؟

* * *

ونماذج
من أعمال التبشير أصالة

قدمنا أربعة نماذج لعملاء التبشير ، ووضحنا مكامن الخطر فيها وفيما يأتى نقدم أربعة نماذج أصدرتها مؤسسات تبشيرية خالصة التقت كلها على تشويه حقائق الإسلام والدفاع عن كل باطل .

١ — الباكورة الشهية فى الروايات الدينية :

هذه الوثيقة التبشيرية أصدرتها منظمة تبشيرية عالَمية اسمها منظمة الشبيبة مركزها الرئيسى فى ألمانيا الغربية ولها أفرع فى كثير من البلدان ومنها الإسلامية ، وقد طبعت باللغات الحية ومنها العربية وتقع فى أكثر من مائتى صفحة من القطع المتوسط . ولدينا منها نسخة باللغة العربية . وليس لها مؤلف معروف بل كتب على غلافها :

« ألفها أحد العلماء الأفاضل من سوريا » ؟! وبالطبع هذا تزوير والغرض منه لا يغيب عن الفطن .

* * *

محتوياتها

لهذه الوثيقة ثلاثة أقسام :

– الأول خاص بالدفاع عن اليهودية .

– والثانى خاص بالدفاع عن المسيحية .

– والثالث مقصور على الهجوم على الإسلام ؟!

ونقاط الهجوم على الإسلام عامة وخاصة . فمن العامة أن القرآن ليس وحياً من عند اللّه بل هو من تأليف محمد ص وأنه مليء – يقصدون القرآن – بالتناقضات والتحريفات ؟! وأنه غير معجز ويمكن الإتيان بمثله . وأن محمداً ص اقتبس معظم ما فيه ، وبخاصة القصص ، من الكتاب المقدس ، وبخاصة العهد القديم « التوراة » ؟!

ومن النقاط الخاصة :

أن محمدا ﷺ ليس رسولاً بل مدعى رسالة . وليس له بشارات فى أسفار الرسل الذين جاءوا من قبله ؟

وإنه ليس له معجزات قط (؟!) بخلاف الرسل كإبراهيم وموسى

وعيسى فلهم جميعاً معجزات باهرة أقواها معجزات عيسى عليه السلام...؟!

– وأن الذبيح من وَلَدَى إبراهيم – عليه السلام – هو إسحق وليس إسماعيل ؟!

– وإذا كان محمد رسولاً حقاً فهو رسول للعرب وحدهم وليس لكل الناس لأن لغته عربية فكيف يكون رسولاً لغير العرب ؟!

– وأن عيسى – عليه السلام – صلب فعلاً – ولم يصلب من كان على شبهه ولو صدق أن الذى صلب شخص غير عيسى كان شبيهاً له لكن ذلك خداعاً من الله – سبحانه – للبشرية ؟!

– وقد روت هذه الوثيقة « الحاقدة » قصة خيالية موجزها أن راهباً مسيحياً حاور جماعة من علماء الإسلام حول الإسلام فبين لهم ما فى الإسلام من أباطيل ؟!

وما فى المسيحية من حقائق فارتدوا جميعاً واحداً أثر واحد واعتنقوا المسيحية وأن أولهم ارتداداً يوم مات أشرق وجهه كأنه القمر فظهر لبقية المسلمين من غير العلماء صدق المسيحية وكذب الإسلام فتنصر كل المسلمين ليكونوا مثل هذا وجوههم كالأقمار يوم يموتون ؟!

٢ – استحالة تحريف الكتاب المقدس :

هذا الكتاب صدر فى مصر فى طبعتين : إحداهما وهى الأولى فى عام

١٩٧٧ م ، والثانية فى عام ١٩٧٨ م ، وليس بعيداً أن يكون له طبعات أخرى لاحقة . وقد قيل فى مقدمة الطبعة الثانية أن نسخه الأولى قد نفدت فى أقل من شهر ؟!

* * *

من الذى أصدره

الذى أصدر هذا الكتاب كنيسة القديسة دميانه بالهرم ، وأعد المادة العلمية التى نشرت فيه مهندس وهيب عزيز خليل وساعده آخرون ذكرت أسماؤهم على غلاف الكتاب .

* * *

موضوعات الكتاب إجمالاً

أحتوى الكتاب على الموضوعات الآتية :

إلى ص ٣٠٨

٦ – شهادة كبار الشخصيات العالَمية للكتاب المقدس من ص٣٠٩ إلى ٣٢٥

ومن هذا العرض الإجمالى للموضوعات يبدو – لأول وهلة – أن الكتاب خلا من الطعن فى الإسلام ، ولكن عند الفحص يتبين أن الكتاب كله طعن فى الإسلام : طعن خفى أحياناً ، وسافر « جداً » فى أكثر الأحيان

ومن أول ما يفجؤك فى هذا الكتاب أن مؤلفيه استشهدوا بآيات من القرآن الأمين على عقائدهم الآتية :

– سلامة الكتاب المقدس من التحريف واستمرار العمل به ؟!

– صلب المسيح فداء للبَشرية من الخطأ الموروث عن أبيهم آدم ؟!

– أن اليسوع « عيسى » هو « اللّه » ؟!

– أن اليسوع « عيسى » هو « الديان » ؟!

– أن القرآن – نفسه – ينقض بعضه بعضاً ويبطل بعضه بعضاً ؟!

– أن رسول الإسلام – صلى اللّه عليه وسلم – لم يأت بمعجزات قط؟!

– أن عقيدة التثليث المسيحية معمول بها فى الإسلام ؟!

فأنت ترى إلى أى مدى وصل الطعن فى الإسلام ؟ وما الفرق – يا ترى – بين الإسلام ومسيحية بولس التى تدين بها الكنائس الآن فى الشرق وفى الغرب إن كان الإسلام فعلاً يؤيد هذه الأباطيل ؟ وبم ؟ بآيات من القرآن نفسه ؟! ياخيبة المسعى وعمى الهوى ، ويالزوال العقول !

ثم استحدث مؤلفو كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » منهجاً جديداً لم نره فى الأعمال التبشيرية الأخرى ذلك المنهج يتخلص فى وضع جداول ذات شطرين فى أحد الشطرين نصوص إسلامية (قرآنية) وفى الآخر نصوص كتابية (إنجيلية غالباً) يقارنون بين نصوص الشطرين ثم يخرجون بنتائج ينهزم فيها الإسلام ؟! أما المنتصر – دائماً – فهو المسيحية . ولكل جدول من هذه الجداول هدف تبشيرى مقصود . وإليك إشارة سريعة لهذه الجداول .

* * *

الجداول والهدف منها

– جدول رقم (١) عقدوا فيه مقارنة بين رسول الإسلام وبين عيسى عليهما السلام وكان عيسى هو الصاعد بالمغالطة والهوى !

– جدول رقم (٢) قارنوا فيه بين نصوص قرآنية وأخرى إنجيلية تتحدث عن السيد المسيح – عليه السلام – وقد أخضعوا النصوص القرآنية لهواهم وحرفوا معانيها !

– جدول رقم (٣) لبيان المواضع التى زعموا أن القرآن اقتبسها من الكتاب المقدس (التوراة) ؟!

– جدول رقم (٤) لبيان المواضع التى زعموا أن القرآن اقتبسها من الكتاب المقدس (الأناجيل) ؟!

– جدول رقم (٥) أثبتوا فيها نصوصاً من القرآن ثم كذبوها ورفضوها لأنها تخالف عقيدتهم .

– قارنوا بين نصوص قرآنية بعضها بعضاً مدعين أنها تناقض بعضها لإثبات أن القرآن يبطل بعضه بعضاً (الناسخ والمنسوخ)

وقد سلكوا فى معالجة هذه المسائل مسلكاً ساقطاً بعيداً عن منهج البحثِ الموضوعى النزيه ، ظانين أن من يقرأ لهم قد سلب عقله . ولم يدركوا من هو الذى سلب عقله هم أم قراء كتابهم ؟!

* * *

نماذج من بحثهم واستنتاجهم

فى استدلالهم على سريان التثليث من المسيحية إلى الإسلام يقولون :

« التسمية المسيحية كالآتى : الأب والابن والروح القدس ؟ والتسمية

الإســلامية بســم الله الـرحمــن الرحيـــم » (استحالـة تحريف الكـتاب المقدس ٢٣١) .

وغاب عنهم أن « الله » فى التسميـة الإسلامية « موصوف » والرحمن الرحيم وصفان له فلا تثليث فـى الإسلام . أما هم فإن التعدد عندهم تعدد ذوات لا صفات فلا علاقة مطلقاً بين هذه وتلك .

ومما استشهدوا به أن المسلم يحلف فيقول : والله العظيم ثلاثاً : ويُطَلِّق فيقـول على الطلاق ثلاثاً ، ويسبح ويحـمد ويكبر عقب الصلوات . فهذا كله عند مؤلفى كتاب الاستحالة تثليث إسلامى ؟!

وعلى هذا النمط من التفكير سار مؤلفو الكتاب من ألفه إلى يائه .

* * *

مطاعن أخرى

وفى الكتاب مطاعن أخرى بعضها يـتعلق بتكذيب القرآن الكريم كنفى البشارة بـالرسول فى التوراة والإنجيل ، وتـكذيبه فى مسألة صـلب المسيح ، ثم ادعاء أن القرآن مقـتبس من الكتاب المقدس ؟! كما عـقدوا مقارنات بين تشريعات الإسلام كالجهاد وبين بـعض ما ورد فى الأناجيل واتهموا الإسلام بالتعصب والحماقة والقهر بينمـا المسيـحية هـى صانعـة السلام فى العالَم وحدها . والخلاصـة أن مؤلفى كتاب الاستـحالة رموا الإسلام بكل نقـيصة ورفعوا المسيحية إلى أفق الآفاق وأدعوا أن الـشفاعة لعيسى وحده دون غيره

فهو مخلص العالَم وحده .

وكان هدفهم من هذا الكتاب ذا شقين :

أحدهما : تثبيت الشباب المسيحى على عقيدته وإزالة ما علق بذهنه – عنها – من شوائب وشكوك . وقد نصوا على هذا فى مقدمة الكتاب نصاً صريحاً .

والآخر : فتنة المسلمين فى دينهم ودعوتهم لاعتناق عقيدة الخلاص (المسيحية) وقد ظهر لنا من تصرفات المكتبات المسيحية التى توزع الكتاب أنهم يستهدفون الشباب المسلم وبخاصة صغار السن منهم ، وذلك لأنهم إذا طلب منهم الكتاب من جاوز مرحلة الشباب ينكرون أن لديهم كتاباً بهذا الاسم وإذا طلبه شاب حديث باعوه على الفور وبثمن زهيد ، وليس لهذا التصرف من هدف سوى ما ذكرناه .

٣ – تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث :

هذه هى الوثيقة التبشيرية الثالثة ، وقد اشترك فيها عملاء المبشرين مع المبشرين أنفسهم ويرجع تاريخ الكتاب إلى أواخر القرن السابع الهجرى ومؤلفه – حسبما هو مذكور فى الكتاب رجل يهودى اسمه « ابن كمونه » وقد ساعده فيه يهودى آخر اسمه « ابن المحرومة » وثالث مسيحى اسمه « ابن أرجوك » ولسنا ندرى إن كانت هذه الأسماء حقيقية أم هى تمثيلية محبوكة ، وقد حقق الكتاب رجل من بغداد اسمه « مصطفى جواد »

دكتور . ولم يضع له مقدمة وإنما اكتفى بهوامش التحقيق الذى تم عام ١٩٣٢ م وقد حققه تحقيقاً جيداً . وقامت بطبعة دار الأنصار بالقاهرة منذ عشر سنوات حيث سلمها أصول الكتاب رجل « عربى » غير مصرى .

وكلفها بطبعه مادحاً لها فى الكتاب وأنه خدمة للإسلام ولكنه لم يعد ليتسلم الكتاب بعد الطبع . وقد أهدانى مدير دار الأنصار المرحوم أسعد سيد أحمد نسخة منه وحين تصفحته دهشت لما فيه ولمت الدار على طبعه ولكن المدير رحمه الله طلب منى أن أضع مقدمة تنبه القارئ إلى خطر الكتاب وطريقة اليهود فى الكيد للإسلام وبخاصة بعد تطبيع العلاقات مع اليهود وقد اعترف لى وهو صادق بأنه خدع ؟ وفعلاً وضعت له مقدمة مسهبة تكشف الخبث المثبوت فى ثنايا الكتاب لئلا ينخدع من يقرأه وما يزال الكتاب معروضاً فى المكتبات وبه المقدمة المشار إليها .

* * *

محتويات الكتاب

اشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أقسام . عرض فى المقدمة لدلائل النبوات وحقيقتها .

والقسم الأول دافع فيه عن اليهودية وأثبت – فى زعمه – صحتها .

والقسم الثانى : دافع فيه عن المسيحية دفاعاً دون دفاعه عن اليهودية ولكنه فى النهاية زعم أنها صحيحة ، وتطوع بدفاع من عنده عن صحة

المسيحية لم يهتد إليه – حسب قوله – النصارى أنفسهم ؟!

أما القسم الثالث : فقد وقفه على التشكيك فى الإسلام كتاباً ورسولاً وتشريعاً وادعى أن الإسلام لم يدخل فيه فرد واحد عالَم بدينه وبدين الإسلام ؟!

وأن الذين دخلوا فى الإسلام من غير المسلمين أباً وجداً لم يدخلوا فيه اقتناعاً به ورضا عنه . بل هناك أسباب سبعة « اضطرارية » حملت بعض غير المسلمين على الدخول فى الإسلام وإليك نصه حرفياً .

لهذا لا نرى أحداً إلى اليوم يدخل فى الإسلام إلا أن يكون عليه خوف (١) ، أو فى طلب العز (٢) ، أو يؤخذ فى خراج ثقيل (٣) ، أو يهرب من الذل (٤) ، أو يؤخذ فى سبى (٥) ، أو يعشق مسلمة (٦) ، أو ما أشبه ذلك (٧) ؟! ولم نر رجلاً عالماً بدينه وبدين الإسلام هو عزيز موسر متدين ، انتقل إلى دين الإسلام بغير شئ من الأسباب المذكورة . (تنقيح الأبحاث ١٠٢)

ولو لم يكن فى هذا الكتاب – عن الإسلام – إلا هذا القدر من الانتقاص والتجنى لكان ذلك كافياً فى عده عملاً تبشيرياً مريباً . كيف والكتاب – بعد – مملوء بالأحقاد وحملات التشكيك والافتراءات التى لم تخل منها صفحة واحدة من القسم الخاص بالإسلام . ومنها على سبيل التمثيل :

محمد ﷺ رسول أو لا رسول ؟

جعل المؤلف ثبوت الرسالة لنبينا عليه السلام موضع شك ، فقد عمد إلى ستة أدلة يستدل بها المسلمون على صدق الرسالة فذكرها بالتفصيل ثم نقدها واحداً بعد واحد ليوهم القارئ أن نبوة محمد ﷺ موضع شك أو ارتياب . ما دامت أدلتها غير ثابتة يقيناً . ونقده – هنا – نقد مزيف مكذوب .

* * *

ارتداد كُتاب الوحى

ويدعى هذا الحاقد أن بعض كتاب الوحى كان يرتدون عن الإسلام حينما يتبين لهم كذب دعوى الإيحاء إلى رسول اللّه ﷺ – قطع اللّه لسان قائل هذا الكلام – ويزعم أن عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح قد ارتد لهذا السبب ، وعبد اللّه بن أبى سعد هو فاتح تونس وأخو عثمان بن عفان لأمه . وقد ولاه عثمان ولاية مصر عقيب شكوى أهل مصر من عمرو بن العاص . فكيف يقال : إنه ارتد فى حياة صاحب الدعوة صلى اللّه عليه وسلم ؟!

* * *

تحريف القرآن

ويزعم هذا الإفاك الأثيم أن القرآن محرف ، ويستدل على ذلك بأن كلمة « فتبينوا » فى سورة الحجرات فى قوله تعالى : (... إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...) لها نطق آخر هو « فتثبتوا » فهذا تحريف – عنده – وهو يعلم أن هذه قراءة وهذه قراءة والمعنى عليهما صحيح . ولكن الحقد على الإسلام هو الذى حمل هذا « الملعون » على هذه الحماقات .

* * *

صياغة الوعد على صور مرنة

ويمضى فى حقده فيدعى أنه – عليه السلام – لم يأت بمعجزات قط . وأنه كان يصوغ الوعود صياغات مرنة يمكن التحايل فيها سلباً وإيجاباً ، ومن ذلك – عنده – قوله تعالى : (لقد صدق اللّه رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء اللّه آمنين) .

يقول ابن كمونه ويجاريه ابن المحرومه وابن أرجوك : أن صياغة الوعد هنا صياغة عامة قلما تكذب لأنه – يعنى الرسول – لم يبين وقت الدخول ولا كيفيته : هل بصلح أو بحرب ؟ ولم يبين الداخل واحد هو أم جماعة؟ فإذا لم يقع وطولب به – يعنى الدخول – قال: إننى لم أحدد وقت الدخول وسيكون ؟

وإذا لم يدخل غير واحد قال : لقد صدق وعدى فقد دخل فلان ؟!

وجهل هذا الوغد أو تجاهله – هنا – واضح فالدخول مؤكد بالقسم وبنون التوكيد ﴿ لتدخلن ﴾ والداخلون جماعة كما هو ظاهر السياق « لتدخلن » ثم : ﴿ آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا ... ﴾ .

ولسنا بصدد تفنيد هذه الدعاوى وإلا فلدينا ما يبطل كل مزاعمه ومزاعم من كان على شاكلته قاتلهم اللّه أنى يؤفكون .

* * *

تحريفات بالزيادة ؟!

ويزعم أن قوله تعالى فى سورة الصف على لسان عيسى عليه السلام :

﴿ ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد .. ﴾ فيقول : إن هذا من التحريف بالزيادة الحقت بالقرآن فى حياة النبى – عليه السلام – أو بعد وفاته أو أن أهل الكتاب تزلف للرسول فكذب عليه أن عيسى قال هذا فى الإنجيل فصدقه محمد ص ووضع هذه العبارة فى القرآن على أنها قرآن وما هى بقرآن ؟!!!

* * *

التحريف بالنقص

ومن مزاعمه أن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة فى الطول وعدد الآيات فتناولها المسلمون بالحذف حتى وصلت إلى القَدَر الذى هى عليه الآن .

وبهذه الافتراءات أوهم ابن كمونة القارئ أن تحريف القرآن – حاشا للّه – شمل الأنواع الثلاثة :

– التحريف بالتصحيف ، وكل قراءات القرآن يزعم أنها من هذا القبيل؟!

– التحريف بالزيادة ، وهو خاص – عنده – بآية البشارة فى سورة الصف .

– التحريف بالحذف (النقص) وهذه دعوى مفتراة لحمة وسدى.

أما النوع الأول (التصحيف) .

والثانى (الزيادة).

ففيهما تسمية للأشياء بغير أسمائها ونسى هذا الحاقد أن توراة قومه هى أصرخ ما يكون بالتحريف الذى لا يكاد يحصر ففيها الولد أكبر من أبيه بسنتين ؟! وفيها الأنبياء يزنون ويشربون الخمر ويقتلون الأنبياء وغير الأنبياء ممن حرم اللّه قتلهم ، ونسى أنهم اتهموا فى توراتهم نبى اللّه لوطاً بشرب الخمر والزنا بابنتيه ؟!

ونسى أنهم اتهموا نبى اللّه سليمان بالارتداد وعبادة الأوثان بعد أن رموا والده وأمه بالزنا .. ؟!

إن التوراة لطافحة بالتحريف والتبديل أو هى كلها محرفة مبدلة حتى ليصعب التعرف على ما هو وحى خالص فيها .

ومع هذا يدعى هذا اليهودى أن فى القرآن تحريفاً وتناقضاً ، ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذباً .

* * *

المسلمون
لا يزالون يعبدون الأصنام .. ؟!!

هكذا يقول ابن كمونه ، ويدلل على هذه الفرية بتقبيل الحجر الأسود فى الطواف حول الكعبة وفى غير الطواف . وإليك كلام ابن كمونه بالحرف الواحد :

« إن الحجر الأسود كان صنماً من جملة الأصنام التى كانت فى الكعبة وأنه لم يزل بإزالة غيره من الأصنام منها – يعنى من الكعبة عام الفتح – وهو إلى الآن يتقرب المسلمون إلى اللّه تعالى بتقبيله وملامسته . وهذا فرع من العبادة لأن عباد الأوثان لا يعتقدون أنها خالقة السموات والأرض . فإن عاقلا لا يعتقد ذلك بل يعتقدون أن عبادتها تقرب إلى اللّه تعالى ،

كما حكى القرآن أنهم قالوا : (إنها تقربنا إلى اللّه زلفى) [1] .

(تنقيح الأبحاث ١٠١)

إن خبث النية حمله على آن يبرر لدعواه بأن عبادة الأوثان قد تجامع الإيمان باللّه ويكون القصد من عبادة الأوثان تقريب العابد إلى اللّه . وهذا – حسب زعم اليهودى – مايريده المسلمون من تقبيل الحجر الأسود ؟! وما درى هذا « الشيطان » أن كفر المشرك باللّه غيره فى العباد ككفر من جحد وجود اللّه سواء بسواء إنه ليدرك هذا ولكنه الحسد والحقد .

﴿ ود كثير من أهل الكتاب أن يردوكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم ﴾ .

* * *

(١) هذا تحريف لقوله تعالى : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى) (الزمر) والمحقق لم يكلف نفسه التنبيه إلى هذا التحريف وإثبات الآية صحيحة بل أهملها على كثرة اهتمامه بتحقيق مادة الكتاب الأخرى وهذا يدل على أن المحقق إما غير مسلم (اسم وهمى) أو عميل شيوعى تلتقى أهدافه مع المبشرين .

التشكيك فى صدق النبوة

أشرنا من قبل أن ابن كمونه عمد إلى ستة من دلائل النبوة الخاصة بنبينا عليه السلام فنقدها نقداً يتوهم السذج من الناس أنه صادق فيه وأن رسالة محمد ﷺ أمر قابل للنفى والإنكار ونريد أن نسوق نماذج من نقد ابن كمونه لنبين تهافته الذى حمله عليه حقده على الإسلام ورسوله . وتحايله المستميت بقصد النيل منه وإثارة الشك فى قلوب العامة من المؤمنين به .

وقد مهد ابن كمونة لنقده بذكر بعض الصفات النبوية التى تعطرت بها سيرة النبى عليه السلام واعتبرت دليلاً من الدلائل الناطقة بصدق رسالة والرسول قال ابن كمونة :

« وأما الذى فى صفاته فمثل كونه لم يجرب عليه الكذب ، ولا فعل القبيح ولا فر من أحد من أعدائه وإن عظم الخوف ، وأنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته وكان شديد السخاء ولم يكن للدنيات فى قلبه وقع ، وكان عظيم الفصاحة وأنه بقى على طريقته المرضية إلى آخر عمره ، وكان فى غاية الترفع على أهل الدنيا والثروة وفى غاية التواضع مع الفقراء والمساكين وأهل الدين ، ومع كونه (هكذا) فى كل واحدة هذه الصفات فى الغاية فهو مستجمع لها بأسرها ولم يتفق ذلك لأحد من الخلق » تنقيح الأبحاث (١٠٤) .

هذا ما ذكره ابن كمونة ثم احتال واحتال وتهافت ليقول للقارئ إنها لا تدل على أن صاحبها رسول فماذا قال قاتله اللّٰه :

نقد ابن كمونة :

قال قاتله اللّه : « ويرد على هذا الاستدلال بأن أكثره رواية آحاد فلا يفيد االيقين » ؟!

وكل ذكر فيه من محاسن أحواله فدلالته على النبوة – لو سلمنا بصحته – ضعيفة بل غايته أن يدل على كون الانسان متميزاً على سائر الناس بمزيد الفضيلة ؟

ولكن من أين يدل على النبوة ؟ وكيف ؟ ويحكى عن أفاضل الحكماء فى الأخلاق أموراً عجيبة جعلها الناس قدوة لأنفسهم فى الدنيا والآخرة وما نقل عنهم من العلوم الدقيقة ... لم ينقل عن محمد ﷺ مثلها. ؟!

ومدة سفره إلى الشام لا تقصر عن تعلم القدر الوارد فى القرآن من القصص وغيرها ؟! بل يكفى أقل منها بكثير . وكونه – عليه السلام – لم يتتلمذ لأحد فغير متيقن ؟! تنقيح الأبحاث (١٠٢) .

فهذا التشكيك صادر عن نفس موتورة فالإسلام ورسوله ورجاله الأولون أدبوا اليهود وكشفوا زيفهم للناس وأجلوهم عن المدينة ، وعروهم من سلطانهم القائم على الدجل والخداع ، والقرآن سجل ماضى آبائهم وأجدادهم وخياناتهم للّه ورسله وقتلهم الأنبياء بغير حق وسبهم للّه وللملائكة وعبادتهم العجل وأكلهم الربا وقد نهوا عنه ، وتحريفهم وحى اللّه إليهم . فماذا ينتظر من اليهود تجاه الإسلام ورسول الإسلام إلا هذه

إن سيرته عليه السلام نقلت إلينا بالتواتر المفيد اليقين ، وكان سلوكه قبل البعثة مثل سلوكه بعدها عفة وطهارة حتى سمى قبل البعثة بالصادق الأمين واليهود وغير اليهود من المبشرين (المضللين) قديماً وحديثاً لايفتأون يقولون إن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل . ولذلك يقول ابن كمونه أن مدة سفرالنبى – عليه السلام – إلى الشام كافية لأن يتعلم خلالها القدر الذى وضعه فى القرآن من معارف أهل الكتاب ؟!

وهذه دعوى أثبتنا – يقيناً – بطلانها وأثبت غيرنا بطلانها كذلك . ولكن الحقد هو المسئول عن كل هذه التراهات .

واليهود والنصارى يعرفون صدق الرسالة والرسول كما يعرفون أبناءهم ولكن فريقاً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون .

* * *

لقطة أخيرة من حقد ابن كمونة

ويقول ابن كمونة : « كيف يقولون أن محمداً أكمل الناس فى الحكمة العملية ونجد ملوك الإسلام مضطرين فى إقامة السياسة وضبط المدينة إلى مخالفة شرعه فى الحدود والقصاصات وغيرها ، ولو عمل على وفق شريعة الإسلام من غير زيادة ولانقصان لاختل النظام وذهبت دماء الناس وأموالهم بغير حق » ؟! تنقيح الأبحاث (١٠٢) .

المعروف أن الشريعة الإسلامية شديدة الحرص على حفظ الضرورات الخمس :

وهى : النفس والمال والعقل والدين والعرض . وليس فيها دم يذهب هدراً، ولا قضية فى جناية على النفس تقيد ضد مجهول ، وحرمة المال فى الإسلام لامثيل لها فى أية شريعة أخرى أو نظام آخر . وهذا معروف للشريعة الإسلامية ومعدود لها من الحسنات التى لم تعرف لسواها ، ومع هذا فإن اليهودى ابن كمونة يدعى –زوراً وبهتاناً – أن ملوك الإسلام لوعملوا بمقتضى شريعة الإسلام لاختل النظام وضاعت الحقوق ،وأهدرت الدماء . وما أصدق الشاعر الذى قال فى أمثال ابن كمونة هذا :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وليس بغريب على قوم لعنوا على لسان أنبيائهم ، وتطاولوا على خالقهم فقالوا : يده مغلولة ، وقالوا : إن اللّه فقير ونحن أغنياء ، ليس بعيداً عنهم أن يتطاولوا على الإسلام كتاباً ورسولاً وأتباعاً .

والكتاب – بعد – مشحون بالطعون فى الإسلام . والتعصب ضد الإسلام باد من كل حرف فيه . فالكاتب أجهد نفسه وأعياها فى الدفاع المزور عن اليهودية والمسيحية . فقد ارتدى وهو يكتب عنهما روب المحامى الهمام . وعندما تصدى للحديث عن الإسلام تقلد سيف المدعى العام وراح يكيل للإسلام الاتهام بعد الاتهام كيلاً جزافاً . فحقه باطل . وصوابه خطأ . وإنصافه ظلم . وصدقه بهتان . وليس بدعاً أن يقول هذا اليهودى ما قال عن الإسلام . وإنما البدع أن يحقق قوله رجل مسلم دون أن يبدى أى تحفظ على مزاعم الكاتب أو تصويب لشناعاته . فالريبة تكتنف هذا

الكتاب من كل جهة .

من جهـة محققـه ، ومن جهة طبعـه ، ومن جهة ظهـوره فى الوقت الذى كان قد ظهر فيه (مواكبة الصلح مع إسرائيل) وهذا كله دلائل قوية على وجود يد خفية تعمل فى الظلام ضد الإسلام . فهل من يسمع ؟ وهل من مجيب ؟

* * *

٤ — †CHRISTIAN EGYPT ANCIENT AND MODERN

مصر المسيحية قديماً وحديثاً

هذا اسم كتاب صدر فـى مصر عام ١٩٧٨ م عن الجامعـة الأمريكية بالقاهـرة وقامت بطبعه الـهيئة المصـرية العامة للكـتاب باللغة الانجليـزية وبلغ عدد صفحاته ٧٠٨ بعد المقدمة من الـقطع الكبير . وتم توزيعه خارج مصر أما فـى مصـر فمـا كان يبـاع إلا بمعرفـة الجامـعة الأمـريكيـة بالقـاهرة وداخل أسوارها ورقم إيداعه بدار الكتب المصرية هو (٢٧٧٨ / ١٩٧٨ م)

والظاهـر من الحقائـق التى اكتنـفت طبع هذا لكـتاب وتوزيعـه أنه لم يقصد منـه التبشير بين عامـة المسلمين ، إذ لو كان الأمر كذلك لطـبع باللغة العربيـة ، ولاقصد به التبشـير بين خاصة المسلمـين ومثقفيهـم إذ لوكان الأمر كـذلك لتم تـوزيعـه بمصر بـوساطـة المكتبـات الـعاديـة المنتـشرة فـى جمـيع الأنحاء.

إذن لم يرد من هـذا الكتاب التبـشير كمـا فى غيره . ولذلـك نرجح أنه أريد منه هدف آخر مختلف كل الاختلاف عن أهداف التبشـير العادية أو

التقليدية .

وهدف الكتاب يظهر بكل وضوح من عنوانه : مصر المسيحية قديماً وحديثاً فهو محاولة من جانب مؤلفيه وممموليه لترسيخ فكرة مسيحية مصر قبل الإسلام وبعده حتى العصر الحديث ؟.

ولذلك اهتم مؤلفوا الكتاب أن يسجلوا أسما الكنائس وتعدادها في مختلف المراحل وأن ينصوا على الطائفة التي تتبعها كل مجموعة من الكنائس واستعانوا على إيضاح الأفكار المراد ترسيخها برسم عدة خرائط لمصر ، كما استعانوا بالصور المختلفة من حين إلى آخر !

وقد زينوا غلاف الكتاب برسم كنيسة عليها صليب . وفي أسفل صفحة الغلاف رسم به اثنتا عشر صورة لحواريي المسيح عليه السلام وهم وقوف . وإلى جوار عمود الصليب تجلس السيدة مريم على كرسي مريح والحواريون عن يمينها وعن يسارها وهي تحمل طفلا وتجلسه على حجرها رامزين بذلك للسيد المسيح نفسه عليه السلم وفي أعلى صفحة الغلاف على اليمين كتب عنوان الكتاب باللغة الانجليزية بحروف فخمة موزعاً على خمسة أسطر .

ويحتوى الكتاب على فصل صغير للفتح العربي (الاسلامي) على يد عمرو بن العاص في عهد بنيامين البطريرك الثامن والثلاثين لمسيحيي مصر كما جاء في الكتاب بالصفحة رقم (٧) .

ولا نستطيع أن نعطي معلومات أكثر مما قدمنا عن الكتاب ، لأنه في حاجة إلى ترجمة دقيقة وأمينة ليمكن الوقوف على مافيه وهو سفر ضخم كما ذكرنا من قبل .

ولكن فى الكتاب عبارة لها مغزى خطير للغاية تفصح عن معانى بعيدة الغور وراء الكتاب وطريقة توزيعه ولغته التى أخرج فيها . هذه العبارة تتوجه إلى طائفة معينه من طوائف الشعب . وتدعوهم إلى التحلى بالصبر وانتظار الفرج . فهم وإن كانوا – كما يقول مؤلفو الكتاب – فى ليل شديد الظلام فإن شدة الظلام يتبعها – دائما – طلوع الفجر ؟!

فما المراد بالليل الشديد الظلام ؟ وماالمراد بالفجر لذى سيعقبه . . ؟!

هنا مكمن الريبة ومكمن الخطر .

وهذا العبارة قد تكشف لنا سراً آخر هو أن طبع الكتاب باللغة الأجنبية وتوزيعه خارج مصر بطلاقة وداخل مصر بحذر ، ومنهج التأليف وسرد المعلومات التاريخية وربطها بالحاضر ، كل هذا قد يكون المراد منه دعاية لجانب حذر على حساب جانب غافل ، ثم تهيئة الأذهان والدوائر العالمية لحدث سيقع . أجل إن هذا من جانبنا تخمين ، ولكن أسبابه لاتخفى على الفطناء .

* * *

كيف نواجه هذه الأخطار ؟

بسطنا فى شيء من التفصيل الحديث عن مخاطر التبشير ضد الإسلام، وأشرنا إلى أسباب التبشير وأهدافه ووسائله وصلته بالاستشراق وصلة الاستعمار بكل منهما ورأينا أن التبشير نشاط دينى وسياسى معاً كان من أبرز أسبابه الخوف من الإسلام باعتباره المنافس الوحيد لكل النظم العالمية القادر على ريادة العالم دينياً وسياسياً واقتصادياً إذا هيئت له الفرصة، وتوفرت الأسباب ، لذلك وقف كل من الصليبية العالمية ،

والصهيونية العالمية والالحاد العالمى يؤازرها كل من الاستشراق والتبشير لتحقيق الأهداف الآتية :

– تفتيت وحدة المسلمين ليضعفوا سياسياً وعسكرياً .

– تشكيك المسلمين فى عقيدتهم ودينهم ليضعفوا دينياً وخلقياً واجتماعياً .

– وقف المد الإسلامى لئلا يؤدى انتشاره إلى بسط نفوذه فيعيد التاريخ نفسه من جديد وتهوى عروش الظلم والطغيان .

– تنصير من يستطيعون من عامة المسلمين لتقليص ظل الإسلام وتطويقه .

وهذه الأهداف قد أفصحوا عنها بكل وضوح . فما الواجب عمله لدفع هذه الأخطار ؟ وكيف نواجهها :

فى نظرى أن المواجهة تتطلب منا اتخاذ الخطوات الآتية :

أولاً : إنشاء مركز إسلامى عالمى تسهم فى تمويله كل الدول الاسلامية وتكون مهمته مقصورة على الآتى :

– متابعة ما يكتبه المبشرون والمستشرقون عن الإسلام فى كل مكان . ثم ترجمة أعمالهم للغات الإسلامية مع تفنيد شبهاتهم والرد عليها وإظهار زيفها .

– ترجمة ما يمكن من الكتب الإسلامية إلى اللغات الحية وتسويقها عالمياً على أن تكون هذه الكتب مما يحتاج إليه المثقف العصرى مما لها صلة بالفكر العالمى ويعمل بهذا المركز نخبة مختارة من صفوة المفكرين

الاسلاميين المشهود لهم بالإخلاص فى مجال الدعوة والإلمام بخصائص الفكر العالمى ومناهج البحث فيه . على أن يفرغوا تفريغاً كاملاً للعمل فى هذا الميدان . ويكون لأفرع المركز اجتماعات دورية ومؤتمرات عالمية كلما دعت الحاجة .

وتقتصر الردود على النقاط التى يثيرها الفكر المضاد فى موضوعية ونزاهة عملا بقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ .

ثانياً : العمل على تعليم اللغة العربية لغير العرب ، ووضع خطة مدروسة جيداً للقيام بهذا الدور البالغ الأهمية حتى نتيح الفرصة للمسلم غير العربى أن يطلع على المؤلفات الإسلامية فتحصل له مناعة وحصانة ضد الفكر المضاد أيا كان نوعه ومصدره وهدفه .

ثالثاً : إنشاء مدارس ومعاهد إسلامية فى عواصم دول العالم الكبرى لرعاية أبناء المسلمين فيها وربطهم بدينهم ولغتهم وتاريخ أمتهم وأوطانهم على غرار المدارس والمعاهد التى تنشئها بعض الدول الأوربية كفرنسا وانجلترا وألمانيا فى بلاد المسلمين مما يعرف بالتعليم الأجنبى . وتكون الدراسة فى هذه المدارس والمعاهد بمصروفات . ومن باب المعاملة بالمثل يجب على تلك الدول الموافقة لنا على تراخيص تمكننا من هذه المهمة .

رابعاً : رعاية المبعوثين المسلمين إلى جامعات الغرب لحمايتهم من الفكر المضاد فقد ثبت يقيناً أن الفكر المضاد يجند أكثر عملائه من هؤلاء المبعوثين ثم الإقلال بقدر الإمكان من ظاهرة « الابتعاث » لجامعات الغرب وكتلة الدول الشرقية ذات الطابع الالحادى .

خامساً : إنشاء أقسام علمية بالجامعات الإسلامية لدراسة الفكر المضاد وأهدافه ووسائله ومواجهته ليطلع شباب الأمة بالتصدى لهذا الخطر فى حياته العملية .

سادساً : إحكام الرقابة والإشراف الكامل على دور التعليم الأجنبى فى البلاد الإسلامية ، فقد ثبت يقينا تورط هذا التعليم فى ممارسات تبشيرية ضد الإسلام بين صغار السن وتربيتهم على الولاء لغير دينهم وأوطانهم وأمتهم .

سابعاً : إعادة سهم المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة ، والاستفادة من المتحصل منه فى الانفاق على من يسلم ويضار فى مصادر رزقه ، ويمكن الانفاق من هذه الحصيلة فى طبع كتبيات ودوريات لخدمة أغراض الدعوة وتوزيعها على مسلمي البلاد غير العربية فى كل من أفريقيا وآسيا وهما مسرحان ينشط فيهما الفكر المضاد الآن ويضع خططا طويلة المدى لتنصير شعوب بأسرها .

ثامناً : التدخل الرسمى عن طريق سفاراتنا وقنصلياتنا فى الخارج لحماية الرعايا المسلمين والمطالبة برفع الاضطهاد عنهم كمسلمى بلغاريا وغيرهم ممن يتعرضون لعمليات قمع وتغريب رهيبة من قبل الحكومات الرسمية فى تلك البلاد .

تاسعاً : دعم رسالة المراكز الإسلامية فى دول الغرب الكبرى وتنشيط حركتها والاستفادة من خبرتها فى هذا المجال .

عاشراً : على الحكومات الإسلامية وأثرياء المسلمين أن لايبخلوا بالجهد والمال فى سبيل الدعوة فى الداخل وفى الخارج والإسهام فى الأعباء

التى تتطلبها خطة الدعوة . وحينئذ سيكون نصر اللّه قريباً .

(إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم)

صدق اللّه العظيم

* * *

عبد العظيم بن إبراهيم بن محمد
المطعنى الخزرجى الأنصارى
جامعة الأزهر
القاهرة

الفهرس